حقوق الأبناء على الآباء

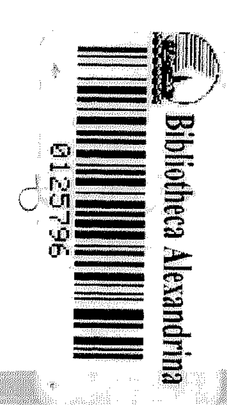
في المنظور الإسلامي

تأليف

منصور الرفاعي عبيد

مكتبة التراث الإسلامي

القاهرة



حقوق الأبناء على الآباء
في المنظور الإسلامي

تأليف

منصور الرفاعي عبيد

مكتبة التراث الإسلامي
القاهرة

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين.

وبعد :

فلما كان الأبناء من أجل نعم الله على الانسان. والآباء يحبون أبناءهم بفطرتهم لشعورهم بأن الأبناء امتداد لهم وهم في نفس الوقت زينة الحياة وبهجتها يأنس الآباء بالأبناء ويشمون فيهم اريج تاريخهم ونعومة طفولتهم وبهجة شبابهم وسعادة دنياهم. لذلك فالحب هنا حب عاطفة وحب غريزة وحب تملك لأن الأب يشعر بأن ولده قطعة منه يمشي بين يديه. ولذا قال القائل : « أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض ».

من أجل ذلك لا تجد أي أب يقسو على ولده بلا رحمة الا الاب الجاحد الذي تحجرت عواطفه وماتت أحاسيسه فهو لا يشعر بشيء. لذا يقسو على ولده بلا رحمة ولا هوادة ... والآباء دائماً يمشون في مناكب الأرض يبتغون من فضل الله يجمعون المال ويسعى الواحد منهم بكل ما لديه للرقي في سلم الحياة واعتلاء أعلى المناصب واحتلال المكانة العالية في دنيا الناس وان سألته لم تفعل ذلك ؟ أجابك من أعماق نفسه : ليسعد

أولادي بالأموال ويفتخروا بين أقرانهم بمنصبي ومكانتي، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ « لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ».

والحق سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور. يعلم خائنة الأعين. فهو سبحانه يعلم أن عاطفة الأب نحو أولاده فطرية وطبيعية لا تؤثر فيها مجريات الأحداث ولا تغيرها عوامل الزمن — فلم يوصِ الآباء بالأبناء وإنما أوصى الأبناء بالآباء لأنه يعلم أن الأبناء قد يتنكرون لآبائهم ويجحدون فضلهم ولا يعترفون بما قدمت أيديهم. من هنا كان التنبيه من العليم الخبير والتوجيهُ في صحف الأنبياء وعلى ألسنة الهداة المرشدين للأبناء أن يتلطفوا في معاملة الآباء ولا يجاهروا بمعصيتهم ومخالفة رأيهم حتى كلمة (أُفٍّ) نهى القرآن الأبناء أن يتلفظوا بها لأنها تدل على فظاظة وغلظة وهذا أمر غير كريم فلا يليق بالأبناء أن يعلنوها .. ولقد حفلت السنة النبوية بالتوجيه كذلك للأبناء بأن يكونوا على درجة عالية في الأدب ومكارم الأخلاق عند التعامل مع الآباء ففيما رواه البزار قول رسول الله ﷺ : « طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد ». وقول الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك فيما رواه الطبراني : رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد. كما روى الترمذي « أتى النبي ﷺ رجلاً فقال إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال هل لك من أم ؟ قال لا. قال : فهل لك من خالة ؟ قال نعم. قال فبرها ».

بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الشارح لآيات القرآن الكريم والمفسر له سألته السيدة اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما. قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال : نعم. صلي أمك .
(رواه البخاري)

ويظن كبيراً من الناس أن الاسلام وشرائع الله اهتموا بهذا الجانب فقط وأهملوا الجانب الثاني وهو توعية الآباء الأبناء. ونسمع بعض الناس يقول

ان الاسلام وجه الوصية للأبناء ولم يوجه الوصية للآباء. وهذا فهم خاطئ لأن الإسلام هو دين الله الخاتم وكلمة الله الخالدة. وكما اهتم بالجانب التربوي عند الأبناء فانه كذلك اهتم بالجانب التربوي عند الآباء. ونذكر في هذا المقام كلمة عمر بن الخطاب للرجل الذي ذهب يشكو فظاظة ولده عليه وغلظته في تعامله معه وقسوته عليه تلك الكلمة التي وعاها الزمن وحفظها التاريخ. (لقد عققت ولدك قبل أن يعقّك).

ويتبين من هذا المنطق أن الاسلام أمر الآباء ووصاهم بحسن رعاية الأبناء حتى يشيروا على مكارم الأخلاق في ظل عاطفة متأججة بالحب الأبوي والدفء الأسري.

إننا في أيامنا هذه نقرأ في وسائل الاعلام ونسمع بأن ولداً قتل أباه حتى يرث الغرفة التي يقيم فيها وأن آخر ضرب والده من أجل المصروف وأن ثالثاً رفع قضية في النيابة ليحجر على والدة لخبل في عقله بينما تثبت التقارير الطيبة أن الأب سليم.

وكنا كلما قرأنا قضية من هذا نتساءل: كيف يحدث هذا ويتطاول الولد على والده وتكون النتيجة أن خلافاً وقع. وهذا الخلل كان يمكن معالجته من أول الأمر ــ وكنا نتساءل أيضاً ولِمَ لمْ يوضح الإسلام ذلك حتى يكون الناس على بينة من أمرهم ؟ فإذا ما رجعنا الى من هم أكبر سناً نسألهم فتكون إجابتهم بأن الاسلام لم يترك أي شيء إلا بينه وفصله واقرأوا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال السلف الصالح وأعمالهم وكنا نرجع الى الكتب الكبيرة والمطولات فإذا بنا نجد عجباً ... نجد أن الإسلام وصى الآباء كما أوصى الأبناء تماماً وإن ذلك لم يأت صريحاً في القرآن لكن سياق الأحداث يدل عليه وترابط الآيات توضحة.

من أجل ذلك أردت أن أقدم هذا الكتيب ليكون بين يدي الآباء

والمربين ضوءاً ينير الطريق ويكشف لنا عن مواطن العنف فنعالجها وحسبي أنني أقدمت على ذلك وليس أمامي مصنفات أستعين بها في البحث وكفى أن الله حسيبي يعلم قصدي ونيتي فمنه وحده أسأله القبول والتوفيق والعون والهداية. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

منصور الرفاعي عبيد
مدير عام المساجد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي شرح صدورنا للاسلام، يوضح لنا من خلاله معالم التربية القويمة وميز الإنسان بالعقل، وألهمه الرشد. حيث بعث اليه الانبياء هداة مرشدين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد. الذي بعثه الله للإنسانية هادياً ومرشداً، ومربياً ومؤدباً .. وأنزل عليه تشريعاً في القرآن الكريم يحقق للإنسانية أسمى آيات عزها ومجدها، ورفعتها واستقرارها. وَارْضَ اللهم عن الآل والأصحاب الذين كانوا نماذج طيبة، وأعطوا للأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في تربية الأبناء الذين هم أسس المجتمع الصالح الذي تسعد به البشرية وترقى في سلم الكمال ...

أما بعد ..

فان الأطفال من أجل النعم التي منحها الله للإنسان وهم زينة الحياة الدنيا يقول الحق سبحانه : ﴿ **المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيا** ﴾[1]. وهم منحة الله وعطيته ﴿ **يهبُ لمَنْ يشاءُ إناثاً ويهبُ لمَنْ يشاءُ الذكورَ** ﴾[2] .. فيهم يجد الانسان واحة الأمل وبسمة الحياة. وهم محط

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٦.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٩.

الرجاء. وروح السعادة والهناء .. ومن فضل الله على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال. وتكوين الأمم وبناء الحضارات وارساء قواعد المجد والمدنية .. ذلك لأن هدف التربية الاسلامية يرمي الى تحقيق الكمال الإنساني لتكون غاية الشخص التقرب الى الله والعيش في سعادة.

ولكي نمضي راشدين في سبيل التربية الاسلامية بحكمة وتبصر، علينا أن نتوسط ونعتدل، ونتخذ سبيل الحكمة في الأولاد، فهم هبة الله، لا نضيق بهم إناثاً، أو يشتد فرحنا بهم ذكوراً. أو نظن أنهم يشاركوننا الرزق فاننا نعتقد ونؤمن بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

وعلينا أن نعلمهم الأدب برفق ولين، وأن نعدهم ليكونوا عناصر صالحة لزيادة المجتمع الانساني.

وإذا كان لكل شيء أساس. فأساس الطفولة السعيدة هو البيت المسلم الذي يوفر لها أسباب الرعاية والهناء والذي ترفرف عليه رايات الأمن المنشورة على قوائم المحبة الناتجة عن حسن العشرة والمودة.

وهذا البيت يستلزم سبق التخطيط له. وحسن الاستعداد. من منظور حسن اختيار كل من الزوجين للآخر، والقدرة الكاملة على النهوض بالأعباء المادية الناتجة من الكسب الحلال.

والاسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية. لأن في رحابها ينمو الفرد وتتكون عاداته. في ظلها يقضي فترة الطفولة ومرحلة الشباب، وفي كنف تقاليدها الخلقية، وشعائرها الدينية تنبت في قلبه الفضائل.

من أجل ذلك أحاط الإسلام الأسرة برعاية قوية، ورسم لها طريقاً سوياً قبل وبعد تكوينها .. لذا وضع معالم لم تضئ الطريق للرجال والنساء قبل الزواج وبعده، وحرص على أن يلتزم بها كل من الطرفين ... وغايته من ذلك قيام حياة أساسها التخطيط السليم الجيد.

وفي قمة هذا النسق والتخطيط لقيام الأسرة، يضع الإسلام المرأة، لتعمل على أمن البيت واستقراره، لأنها هي المسئولة عن الاستقرار النفسي للرجل وتهيئة المناخ الصالح للأولاد ... وصدق الله العظيم ﴿ **خَلَقَ لكم من أنفسِكم أزواجاً لتسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينكم مودةً ورحمةً** ﴾[1].

إن المربين ودعاة الإصلاح لو فهموا منهج الإسلام في التربية، وطريقته في الإصلاح لنادوا بتطبيق منهجه في العالم أجمع، لأنه أفضل الوسائل للإصلاح الاجتماعي الذي يهتم بالأسرة وشئونها، ويعمل على إبراز المشاعر الطيبة بين الزوجين.

ونحن في بحثنا هذا نبين نهج السنة النبوية في تربية الأولاد الذين هم قرة العيون وبهجة النفوس. وكل إنسان مفطور على شعور نفسي نحو أولاده بالحب. إذ هم ثمرة الفؤاد وعصارة الأكباد. ولذلك كان من دعاء الصالحين : ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لنَا مِن أزواجنا وذُرِّياتِنَا قرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمتَّقِينَ إمَاماً** ﴾[2].

وحب الوالد لولده شيء فطري، متأصل بالمشاعر النفسية، والعواطف الأبوية وهذا شيء لا دخل للانسان فيه لأنه جبل عليه، ولولا ذلك لانقرض النوع الإنساني من الأرض ولما صبر الأبوان على رعاية الأولاد، ولما قاما بكفالتهم وتربيتهم والسهر على أمرهم والنظر في مصالحهم. لذلك لا يعجب الفرد وهو يقرأ في القرآن الكريم إذ بحده يصور هذه المشاعر النبيلة بصور شتى، كلها تعطي ما للأولاد من أثر في نفس الأب. فتارة يجعلهم زينة الحياة الدنيا ويعتبرهم مرة أخرى نعمة تستحق شكر المنعم ولذلك قال القائل وهو يصف أحوال أبنائه معه وأثر ذلك في نفسه :

---

(١) سورة الروم الآية ٢١.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤.

يتزاحمون على مجالستي والقرب مني حيثما انقلبوا
يتوجهون بسوق فطرتهم نحوي إذا رغبوا وان رهبوا
فنشيدهم « بابا » إذا فرحوا ووعيدهم « بابا » اذا غضبوا
وهتافهم « بابا » اذا ابتعدوا ونحيبهم « بابا » اذا اقتربوا
ذهبوا أجل ذهبوا ومسكنهم في القلب ما شطو وما قربوا
إني أراهم أينما التفتت نفسي وقد سكنوا وقد وثبوا
وأحس في خلدي تلاعبهم في الدار ليس ينالهم نصب
وبريق أعينهم إذا ظفروا ودموع حرقتهم اذا غلبوا
في كل ركن منهم أثر وبكل زاوية لهم صخب
إني أراهم حيثما اتجهت عيني كأسراب القطا سرب

من هذا كله نعلم قوة عاطفة الحب الفياضة الغامرة التي أودعها الله في قلب الأبوين نحو أبنائهما. وهي عاطفة مشحونة بالمشاعر النبيلة.

وعلى ضوء ما قدمنا نستعين بالله. ونبين منهج الرسول ﷺ في تربية الناشئة ورعايتهم والاهتمام بأمرهم.

ونسأل الله أن يأخذ بيدنا الى طريق الخير، وان يلهمنا الرشد والصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصية الآباء

من هدى الاسلام وتعاليمه أنه يرشد الآباء الى اشياء إن قاموا بأدائها وتمسكوا بها سعد أبناؤهم وسعدوا هم بأبنائهم. وصدق الله العظيم إذ يقول على لسان الأخيار الأطهار الأبرار: ﴿ **ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1].

وكل شخص في الوجود مهما كانت درجته العلمية وثقافته ومهنته أمله في الدنيا أن يكرمه الله في أولاده ... وأن يبرّه الأولاد ويكرموه ويعطفوا عليه لأن شمس الآباء تغرب بينما شمس الأبناء تشرق. وشتان بين غروب وشروق لهذا المعنى قال الحق سبحانه: ﴿ **المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيا** ﴾[2]. وقال في آية أخرى ﴿ **إنَّما أموالُكُمْ وأولادكم فتنةٌ** ﴾[3].

وإذا كان الأب يريد من أولاده أن يكرموه فواجب عليه هو أن يكرمهم ومن هذا المنطلق وضع الاسلام قواعد وضوابط لأي شخص يريد أن يؤسس اسرة ويكون عائلة أن يبدأ قبل انجاب الاطفال في تهيئة المناخ

---

(١) سورة الفرقان الآية ٧٤.
(٢) سورة الكهف الآية ٤٦.
(٣) سورة الأنفال الآية ٢٨.

الصالح حتى ينشأ الأبناء في جو كله طهر ونقاء وتقوى وصلاح. واهم الأسس التي وضعها الاسلام هي :

١ ـــ اختيار الزوجة

لأن الناس معادن ويتفاوتون في الشرف والوضاعة والخير والشر والى هذا يشير الحديث الذي رواه الطيالسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: الناس معادن في الخير والشر. خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا.

ولقد أوصى الاسلام بحسن اختيار الخاطب لخطيبته والتي ستصبح فيما بعد ام اولاده ... كذلك أوصى الاسلام بحسن اختيار المخطوبة لخاطبها .. ووضع أمام كل منهما نظاماً دقيقاً واحكاماً شاملة وقواعد أصيلة وانار بذلك الطريق ليهتدي الناس على هذا الضوء الكريم حتى تكون المحبة الدائمة والوفاق بين الطرفين وليكون منهما البنون والبنات الذين يتمتعون بالخلق القويم والجسم السليم والعقل الناضج والنفسية المستقرة الآمنة .. ويلفت الدين نظر أتباعه إلى أن الاختيار يتم على أن ذلك نابع من الدين والتمسك بقيمه واخلاقياته وصدق رسول الله ﷺ: « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ».

إن بعض الناس عندما يذهب اي شخص يخطب ابنتهم يسألون عن :

١ ـــ ما هي الشهادة التي حصل عليها ؟
٢ ـــ ما هو القدر الذي سوف يرثه من أبويه بعد موتهما ؟
٣ ـــ هل له رصيد في البنك أم لا ؟
٤ ـــ كم غرفة سيتم فرشها ؟
٥ ـــ ما حجم الثلاجة والأدوات المنزلية التي عنده ؟

٦ ــ بعد كم يمتلك سيارة. هذه اسئلة أهل المخطوبة. أما اسئلة أهل الخاطب فيسألون.

١ ــ الزوجة عندها شقة أم لا ؟
٢ ــ كم يمتلك أبوها ؟
٣ ــ من في أسرتها يستطيع توظيف أولاد أهل الخاطب ؟
٤ ــ وكم من المتاع وفرش الشقة التي سوف تحضره .. ؟

هذه أسئلة تجري في كثير من الأحايين في محيط الأسرة عندما يتقدم أحد الشباب للخطبة والذي غاب عن دنيا الناس أن أحداً لم يسأل عن الدين بمعنى أن الاسئلة لم يرد فيها :

١ ــ هل هي تحفظ القرآن ؟
٢ ــ هل هي تصلي ؟
٣ ــ هل عندها استعداد لأن تلبس ملابس الحشمة والوقار أم لا ؟
٤ ــ إذا كانت تعمل وقد وسع الله عليها وعلى زوجها في الرزق وأصبحت في غير حاجة إلى العمل هل تترك عملها حتى تتفرَّغ لتربية الأولاد ؟

كذلك لم نسمع أن أهل المخطوبة سألوا عن الزوج وقالوا ؟

١ ــ هل هو متدين يحافظ على الصلاة والصيام ؟
٢ ــ هل هو مدمن على أشياء ضارة بالصحة أم لا ؟
٣ ــ هل يحفظ القرآن أم لا ؟
٤ ــ هل يتقبل النصيحة من غيره أم لا ؟
٥ ــ هل عنده استعداد للصرف على المنزل أم أنه كسول ينتظر مرتب زوجته ؟

كل هذه الأسئلة كان الأولى بالأسرة أن تدبر حواراً حولها لأن الرسول ﷺ يقول : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن

تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا ان يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه .. رواه الطبراني. كما روى البخاري : « تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ».

ان الاسلام يرفع من قيمة الزوجة الصالحة النقية المطيعة لزوجها الى درجة تقارب تقوى الله سبحانه بل يجعلها خير متاع الحياة الدنيا لأن الزوجة في الحياة اذا كانت على درجة عالية من الكفاءة والخلق والعفة والدين فانها الكنز الثمين والشيء العظيم الذي استحوذ عليه الانسان في حياته وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجة : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن امرها اطاعته وان نظر اليها اسرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله ».

ان المرأة هي الوعاء الي يدخر فيه الإنسان أغلى شيء في الوجود لديه وكلما كانت المرأة متدينة حافظت على الوديعة وصانت الأمانة وحرصت على سلامة ما استودع فيها .. من اجل ذلك اخبرنا القرآن الكريم، ان أمة مؤمنة خير من مشركة ولو كان الانسان يعجب بالكافرة.

فالتقوى هي أهم شيء لأنها سر نجاح الشخص وسبب سعادته.

ولست أرى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ولكـــنَّ التقـــيَّ هو السعيـــدُ

﴿ ولا تنكِحوا المشركاتِ حتى يؤمنَّ ولأَمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم ولا تنكِحوا المشركين حتى يؤمِنُوا ولعَبْدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مُشركٍ أولئك يَدعُونَ الى النار والله يدعو إلى الجَنةِ ﴾[1].

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.

كما نهى القرآن الكريم وهو دستور الإنسانية الرشيدة عن زواج الزانية لأنها لا تحفظ الزرع الذي هو فيها وتسقيه بالماء العفن من هنا وهناك وتجعل البيت خبيثاً سيئاً لا يصلح لخير ولا ينهض باداء واجب وصدق الله العظيم. ﴿ **الزاني لا يَنكِحُ إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا يَنكِحُها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلك على المؤمنينَ** ﴾[1].

ان الاسلام يهتم بذلك لأن المرأة الصالحة المستقيمة هي ربة بيت ناجحة وقائدة أسرة كريمة ومربية اطفال تنشئهم على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كما أنها راعية اجيال تستطيع الامة أن تعتمد عليها في بناء حضارتها وتشييد مجدها وإعلاء رايتها فبصلاح المرأة تسعد الأمة وترقى وتتقدم ولا تتخلف عن عصرها وزمانها. وصدق من قال :

الام مدرسة اذا أعددتهـــــــا أعـددت شعباً طيب الأعـــراق

من أجل ذلك قلنا بأن الاسلام يوصي الآباء برعاية الأبناء حتى قبل أن يولدوا وذلك باختيار الأم الصالحة الطيبة الكريمة لهم وحتى لا يُعيَّر الولد بأمه وتكون سبب نكسة نفسية له وانفصام في شخصيته ويؤدي ذلك الى تمزق روحه وضياع آماله وشتات فكره.

٢ ــ الرضاع

الأم الطيبة لبنها طيب عندما ترضع طفلها فانه يمتص مع اللبن أخلاقها وطباعها الحلم والطيبة والصبر والتأني وسعة الأفق لأن الجنين يأخذ من صفات أمه الكثير وهو يرضع منها وصدق الله العظيم: ﴿ **والبلدُ الطيِبُ يخرجُ نباتهُ بإذنِ ربهِ والذي خَبُثَ لا يخرُجُ إلا نَكِداً** ﴾[2] والارضاع هو تغذية الطفل بمص لبن أمه وهو لبن نقيّ خال من الجراثيم وهو غذاء

(١) سورة النور الآية ٣.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٨.

ودواء من أجل ذلك مدح العرب الامتناع عن الارضاع بلبن الغيل واجتنابه ... والغيل في العرف ارضاع الولد على حمل لأن ذلك يكون له تأثير في نماء الجنين واعلاله له حتى إن العرب عدوه نوعاً من الوأد الخفي والقتل غيلة فذموه وقالوا : اذا ارضعت ولدك غيلة فكأنما قتلته غيلة.

والإسلام رعاية منه لجانب الطفولة نبه الأب وارشده الى اختيار الأم حتى يرضع الولد منها العادات الحميدة والصفات الكريمة التي تنفعه في مستقبل حياته وتجعله صاحب همة عالية وشخصية قوية ولقد ثبت بالتجربة ان الولد الذي يرضع من ام تتسم بالحمق وتعرف بالشراهة يرث منها طباعها ويأخذ منها صفاتها. لهذا قال الله تعالى : ﴿ **فالصالِحَاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيبِ بما حفظَ اللهُ** ﴾[1].

ان هذا التوجيه الرباني والارشاد الالهي يبين لنا ان المرأة الصالحة هي التي تحفظ اسرار بيتها وبالتالي نأخذ منها ان المولود يتعلم منها ذلك لأنه يقلدها ويأخذ من طباعها من أجل ذلك كان الواجب على الأب حسن الاختيار والتوفيق من اول الأمر. ثم على المرضعة « الام » ان ترضع ولدها لمدة عامين ليقوى جسمه ويصلب عوده فليس هناك شيء أحسن من لبن الأم ولذا أشار الحق سبحانه الى ذلك في قوله ﴿ **والوالِداتُ يرضِعْن أولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ** ﴾[2].

٣ ــ سعيُ الأب في الحصول على الرزق

يقول الله تعالى: ﴿ **لينفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتهِ وَمَن قُدِر عليهِ رزْقُهُ فليُنفِقْ**

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

مِمَّا آتاهُ اللهُ لا يكلفُ اللهُ نفساً الا ما آتاها سيجعلُ اللهُ بَعدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾[1].

ولقد أوجب الاسلام على الأب ان يسعى على زوجته واولاده وان يتكسب لهم الكسب الطيب لقول الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذينَ آمنُوا كُلوا من طَيباتِ ما رَزَقْناكُمْ واشكُرُوا اللهِ ان كُنتُم إياهُ تعبدونَ** ﴾[2] ذلك لأن الحرام يضر بالانسان في نفسه وفي اولاده لأن كل جسد نبت من سحت فالنار اولى به كما يقول رسول الله ﷺ.

والانسان اذا اكل أو شرب من حرام فإن ابواب السماء لا تفتح له ولا يستجيب الله له الدعاء حسبما جاء في حديث رسول الله ﷺ « ان الرجل ليطيل السفر أشعث اغبر يمد يديه الى السماء .. يا رب .. يا رب .. يا رب .. ومأكله حرام ومشربهُ حرام وغذّى بالحرام فأنَّى يستجاب له ».

ان الذي يأكل من حرام ويربي اولاده على الحرام لا تتفتح عقولهم ولا اذهانهم ويحالفهم الفشل والضياع. يعيش الواحد منهم في الدنيا شقيا يشعر بالخوف ويحس بالاضطراب في نفسه والجبن يسيطر عليه واينما يتوجَّه لا يأتي بخير مع عدم الرضا عما في يده وعدم الشعور بالأمن والاحساس بالتعاسة رغم الجاه والمناصب — ولعلنا عندما نقرأ قول الله نشعر بهذا المعنى :

﴿ **ومَنْ أعرضَ عَن ذِكري فإنَّ لهُ معيشةً ضَنكاً ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى * قال ربِ لِمَ حشرتَني أعمَى وقد كُنتُ بَصِيراً * قال كذلِكَ أتتكَ آياتُنا فَنَسيتَها وكذلِكَ اليومَ تُنسَى** ﴾[3].

---

(١) سورة الطلاق الآية ٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٢.

(٣) سورة طه الآيات ١٢٤ — ١٢٦.

ان السحت والحرام والرشوة واكل اموال الناس بالباطل واخذ الاجر والتهرب من العمل كل ذلك يجعل النكد يسيطر على الأولاد وينقلب ذلك في نفوسهم تمرداً على الآباء. من أجل ذلك وجه الاسلام الوصية الى الآباء ان على الواحد منهم أن يسعى في مناكب الأرض يزرع أو يتاجر أو يصنع او يكون صاحب حرفة يدوية وهو في كل ذلك يراقب الله ويشعر بوجوده معه ليكون مكسبه طيباً ومطعمه حلالاً فيأكل من حلال ويطعم أولاده من حلال فيبارك الله له فيهم ويكون الولد وفياً لأبيه محبّاً له.

من أجل هذا كانت المرأة في صدر الاسلام تمسك بتلابيب زوجها في الصباح وتجذبه بشدة وتقول له: يا زوجي العزيز إيّاك والحرام .. إيّاك والحرام .. إيّاك والحرام. فانا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على النكد والتعاسة في الدنيا وحر جهنم في الآخرة.

ونستأنس هنا بقول الله تعالى في قصة الخضر وموسى عليهما السلام عندما مرا بغلام فقتله الخَضِرُ، فقال موسى عليه السلام ﴿ **أَقتلتَ نَفساً زَكيةً بِغَيرِ نَفْسٍ لقَد جِئتَ شيئاً نُكْراً** ﴾[1]. لكن الخضر عليه السلام اخبر موسى بقوله: ﴿ **واما الغُلامُ فكانَ أبواهُ مؤمِنينَ فخشِينا ان يُرهِقَهُما طُغياناً وكُفْراً** ﴾[2]. قال بعض المفسرين ان الغلام لو بقي للأبوين حياً لكان فيه هلاكهما لأنه سيرهقهما بالمطالب فيقومان بالسرقة والنصب والاحتيال على الناس وفي ذلك خسارة الدين والدنيا لهذا صح في الحديث عن رسول الله ﷺ : « لا يقضي الله لمؤمن من قضاء الا كان خيراً »[3].

وقضاء الله خير. لذلك عجل بموت الغلام حتى يكون الخير للابوين

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٤.

(٢) سورة الكهف الآية ٨٠.

وفي الجانب الثاني نرى أن الخضر وموسى عليهما السلام نزلا الى قرية فاستطعما أهلها فلم يعطهما أحد أي شيء لكن الخضر عليه السلام وجد هناك جداراً آيلاً للسقوط فَرَّدهُ ودعَّمَهُ واصلح شأنه، فقال موسى عليه السلام : « اننا طلبنا الطعام من أهل القرية فلم يطعمنا أحد فلو شئت لاتخذّت على عملك هذا اجرا ».

لكن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام: ﴿ **وامَّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَين يتيمَيْن في المدينةِ وكان تحتهُ كنزٌ لهما وكانَ أبوهُما صالحاً فأرادَ ربُّك أن يَبلُغا أشُدَّهما ويستخرِجا كنزَهُما رحمةً من رَبكَ** ﴾[1].

ان العمل الصالح لا يضيع أجره أبداً حتى وان ضاع في دنيا الناس فلن يضيع عند الله الذي لا يضيع اجر من أحسن عملاً.

ومن المعلوم أن عمل الرجل الصالح يحفظه ويحفظ ذريته وتشملهم بركة عبادته في الدنيا والاخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم الى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم. ولذا قال الامام علي :

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به فليس يحصده الا الذي زرعا

من اجل كل ذلك على الأب ان يتخذ الزوجة الصالحة وان يسعى على الرزق من حلال ليسعد بأولاده ويفرح بهم ويكونوا قرة عين له في الدنيا والآخرة. وصدق من قال :

وليس النبت ينبت في جنان كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمال اذا ارتضعُوا ثدي الناقصات

لقد اثرت ام الامام الشافعي فيه تأثيراً بليغاً حيث بث في روعه من

(١) سورة الكهف الآية ٨٢.

روحها النقية وفي عقله من علمها الغزير وحيث كانت حريصة عليه ليتفوق لأن نفسها تواقة الى مكارم الاخلاق .. فكان لها ما ارادت.

كما اثرت ام عبدالله بن عباس فيه فنشأ نشأة صالحة واليها يرجع تعشقه للمجد منذ صغره. إن الأمومة عاطفة مشبوبة ومن هذا الجانب على المرأة أن تأخذ مكانها الطبيعي في الأسرة ومكانها مكان القلب في البدن. وبهذا الاعتبار تستطيع الام أن ترسل دم الحياة المملوء بالنقاء والبهجة والسرور حولها.

على ان هذا الارسال يلقى على عاتقها منذ يتكون الجنين في بطنها لأن الأمومة هي وظيفتها الأساسية حيث تتجلى في تلك الخلايا الأولية التي يتألف منها جسم المجتمع الحي وهم أطفالها ... ان الاطفال كاللؤلؤ المنثور في ساحة البيت والنجوم اللامعة في سمائه .. وما ابدع منظرهم وهم واقفون على عتبة الحياة ينظرون الى دنيا الناس في طهر واعجاب انهم أمل الحياة الناضر إذ في عيونهم ينبثق نور إلهي يلمحه الواقف المتبتل في محراب الانسانية البديع. والأطفال يتألف منهم جسم المجتمع الحي لتصبح الدنيا غنية بمقومات الحياة مفعمة بشتى الغرائز والملكات والأم تستطيع اذا اعدت نفسها للقيام بواجبها ان تمون المجتمع بهم تموين كمٍّ وكيفٍ وان تعدهم للحياة إعداداً به يشقون طريق المجد في غمارها عدتهم جسم قوي وفكر مثقف وخلق قويم.

ولما كان اشرافها الكلي على اولادها يمتد الى ما قبيل البلوغ كان عليها واجباً خطيراً واجب التوجيه الحسن وبخاصة فيما بين السادسة من عمرهم والثانية عشرة اذ أنَّ في هذه الفترة يحدث النضوج الجنسي لهم وتكوين الشخصية فيهم ... وليس هناك من رابطة كرابطة العقل والتمييز كالتي تربط بين الشخص وأمه وعلى هذا الأساس ظلت الصلة بين الإنسان وابويه قائمة وبينهم وبين المجتمع كذلك. وكانت الشرائع تقرر مسئولية الأبوين بالنسبة لأولادهما. وقد حملت الأم الشطر الأكبر من هذه

المسئولية لما لها من الأثر العميق في نفوس أولادها. لكل هذه الأسباب وجهنا الشرع الحنيف الى حسن اختيار الزوجة من بيئة صالحة ومنبت كريم ... متدينة تعرف واجبها نحو ربها وواجبها نحو زوجها وواجبها نحو أولادها والمجتمع.

وليس بفائتنا ان نسوق للام حديثاً لاثنتين من نساء العرب لتعلم المرأة المعاصرة الى أي حد وصلت المرأة العربية في تربية طفلها واعداد نفسها له منذ بدء الحمل.

قالت فاطمة بنت الحرشب. وقد سئلت اي بنيك افضل. قالت : والله ما أدري ـــ اني ما حملت واحداً منهم تَضَعاً ولا ولدته يَتَناً .. ولا ارضعته غَيْلاً. ولا منعته قَيْلاً ولا أَنمَيْتُهُ تُوَداً. ولا سقيته هُدْبُداً. ولا اطعمته قبل رئة كبِدا. ولا أَبَتُّهُ على مأفَةٍ.

كما قالت اميمة أم تأبط شراً وقد سئلت عن أمر تربيتها لولدها فقالت : والله ما حملته تُضَعاً ولا وُضَعاً. ولا ولدته يَتَناً .. ولا ارضعته غَيلاً ولا ابته مَئِقاً، ولا انمته تئيداً .. ولا سقيته هُدْبُدا. ولا اطعمته قبل رئة كبدا[1].

وتعالوا بنا نقف امام تلك الألفاظ لنحللها ونتعرف على ابعادها حتى نكون على بينة بأن الأم العربية هي بنت فتيان العرب ومعقل فخرهم ومثار حميتهم ومستقى ادبهم وملاذهم ان جد بهم الدهر.

لقد كانت الأم العربية موطن ثقة الأب وفخر الابن وعزة العشيرة حتى كان من الملوك من نسب الى أمه كعمرو بن هند.

فالحمل التُّضَعُ (ان تحمل المرأة قبيل الحيض) والوُضَعُ (ان تحمل في أعقابه) وفي كلتا الحالتين ينضح الرحم سائلاً يؤذي النطفة ويضعفها

(١) لسان العرب مردداً في أجزاء متفرقة عند الكلام على كل من الفاظ الجملة أما القصة فقد جاءت في كتاب الميداني جزء ـــ ٢ ـــ صفحة ٢٠٥.

وهي في اول منابتها ومقتبل عهدها بالحياة ولها ما لها من سوء النشأة.

اما ولادة الطفل يَتَناً : فانه يولد منكساً (رجلاه قبل رأسه) وعندئذ تصاب عظام الطفل الناعمة بتأثير من الضغط الذي ينالها وقل أن يتلافاه ــ واما الإرضاع غيلا، فان ترضع وليدها وهي حامل. واللبن حينذاك قليل الدسم فلا يغذي الجسم.

واما الغيل الذي لا تمنعه طفلها فتناول اللبن وقت اشتداد الهاجرة واتّقاد الرمضاء وهو يطفئ الحر وينقع غلة الجسم.

واما المبيت مئقاً، فإنه يقضي الطفل ليلهُ حزيناً وفي ذلك من التأثير على نوم الطفل من كثرة بكائه حتى تتقرح عيناه وليس هنالك شيء أذكى لنفس الطفل وانهض لعقله وأصفى لدمه وجسمه من أن يكون مبتهجاً في نومه ويقظته.

وأما النوم تَئِداً فانه ينام على موضع نكد لصلابته أو استقذاره ولكليهما تأثير قوي في عظام الطفل وصحته.

واما الهُذْبُدَا. فاللبن المتكبد الذي لان بعضه وجف بعضه وذلك إما لقرب انقطاعه واما لحالة نفسية أو جسمانية اصابت الأم. وعندئذ يضعف عود الطفل وينحل جسمه.

وما الرئة والكبد فكل منهما يحتاج في هضمه الى لعاب الاسنان فإذا لم يستوف طعامه ذلك اللعاب كان وخماً ثقيلاً لا تملك المعدة أن تتخذ منه نصيبها من الفائدة فيستحيل الى إسهال شديد يعقبه ضعف شديد.

هكذا كانت نساء العرب تفتخر الواحدة منهن بحملها لوليدها وكيف حافظت عليه وارضعته الحلم والقوة والجلد.

٤ ــ التسمية

إن الجنين عندما يخرج الى الوجود تبدأ الأم في تسميته وتشرك زوجها

معها في اختيار الاسم المناسب. وقد كانت المرأة العربية تختار لوليدها كل صلب شديد من الأسماء ينمي به حسه وتنبت عليه شجاعته. أما البنات فيختار لهن كل خفيف المسمع بديع الموقع.

ومن طريف امر التسمية وغريب اثرها ما حدث ابن حبيب ان اسماء بنت دُرَيْمٍ كانت في خباء لها وكان بنوها يرعون بعيداً عنها .. فمر بها وائل بن قاسط فنظر اليها نظرة مريبة .. فقالت : لعلك اسررت في نفسك مني شيئاً ؟ .. فقال : أجل. قالت .. لئن لم تنته لاستصرخن عليك أسبعي .. فقال: والله ما ارى بالوادي احدا قالت .. لو دعوت سباعه لمنعتني منك واعانتني عليك ..

فقال: أوتفهم السباع منك ؟ قالت: نعم.. ثم رفعت رأسها ونادت: يا كلب. يا ذئب يا فهد. يا دُبّ. يا سرحان. يا اسد .. فجاء بنوها يتعاوَوْنَ. ويقولون: ما خبرك يا أماه ؟

قالت .. ضيفكم هذا أحسنوا قراه .. ولم تر أن تفضح نفسها عند بنيها .. فذبحوا له واطعموه. فذهب وهو كالمأخوذ عجباً مما رأى وسمى ذلك الوادي بوادي السباع. فهو اسمه منذ ذلك اليوم.[١]

ان المرأة العربية كانت تمهد لطفلها ليكون من أهل الفطنة والمجد والكمال. فمع تخير الاسم ومع مراعاة الارضاع والحمل كانت تدفع به الى المرضعات في الصحراء ليشبّ على توقد الذهن وإرهاف الحس وسعة الأفق ويتعود على مقاومة الحياة. كما كانت تقيم بين عينيه من جميل المكارم محراباً .. وتتعهده كما يتعهد الزارع الضنين منابت الغرس ومساقط الغيث. ان احتكمت به نزوة الشر وطاشت به سورة الحقد بغير حق وفي غير حزم .. عطفت صدره وألانت جانبه وأوضحت منهج الخير

---

(١) خزانة الأدب جزء ــ ٣ ــ صفحة ٥٢٢.

له وان سكتت همته وفترت عزمته اذكت حميته واثارت حفيظته وهاجت غطبته. ونسوق القصة الآتية ليكون فيها الدليل على ما قلناه.

جعل قوم « لبشر بن ابي حازم الأسدي » / وكان عبداً / جُعْلاً على أن يهجو أوس بن حارثة بن لام فأخذ يتلقفه بلسانه في كل مجتمع وناد. حتى اذا ضاق باوس امره أرسل رسولاً من عنده ليشتري الشاعرَ العبدَ من مولاه بالغاً. ما بلغ. فلما اشتري وجيء به له، قال له: هجوتني ظالماً لي .. أنت بين قطع لسانك وحبسك في سرب حتى تموت .. أو قطع يديك ورجليك وتخلية سبيلك ثم دخل على أمه سعدى وكانت قد سمعت كلامه .. فقالت له يا بني .. مات ابوك فرجوتك لقومك عامة فأصبحت ارجوك لنفسك خاصة. وزعمت أنك قاطع رجلاً هجاك. فمن يمحو ما قاله غيره ... قال : فما اصنع ؟ قالت تكسوه حلتك وتحمله على راحلتك وتأمر له بمائة ناقة ففعل ما قالت فملأ بشر عراض الآفاق بمدائح أوس وكان مما مدحه به قوله :

الى اوس بن حارثة بن لام ليقضي حاجتي وقد قضاها
فما وطئ الحصى مثل ابن سُعدى ولا لبس النعال ولا احْتَذَاها[1]

كذلك كان للمرأة العربية قدرة على ابتعاث الهمم من مكانها فذلك ما لا يكلفها جهد القول ولا مُرُّ الوعيد. فحسب الكلمة أن تخرج من فيها هادئة وادعة فيكون لها ما بعدها ومثل ذلك أن : (ذؤاب بن أسماء العبسي) قتل عبدالله بن الصمة. وكان ذؤاب بطلا عنيداً فلبث دريد يترقبه حتى أعياه .. فلما انقضى الحول ولم يأخذ بثأر أخيه قالت له أمه ريحانة بنت معدي كرب .. يا بني ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعِنْ بخالك وعشيرته من زبيد. فأنف لذلك وحلف لا يدَّهنُ ولا يكتحل ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأرهُ

(١) بلاغات النساء ص ١٤٩.

ثم استجمع لعبس وفاجأهم وأوقع بهم واقتاد ذؤاباً أسيراً وذهب به الى فناء أمه فقتله بمرقب منها. ثم قال لها هل بلغت ما في نفسك ؟

قالت نعم. مُتِّعْتُ بك[1] (اي قرت عيني بك).

الا ان اشد ما يملك النفس من أمر أولئكم النساء أن يدفعن بأبنائهن في غمرة الواجب وبذل المهجات لأن ميتة العزّ أروح في نفوسهن .. وأمثل بأبنائهن من حياة العجز والكسل والخمول.

ونعود فنقول إن من العادات الاجتماعية المتبعة ان المولود حين يولد يختار له أبواه اسما يعرف به ويتميز لدى القاصي والداني. والإسلام بتشريعه المتكامل اعتنى بهذه القاعدة واهتم بها ووضع من الأحكام ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها حتى تعلم أمة الاسلام كل ما يتعلق بالمولود وكل ما يرفع من شأنه ويتصل بتربيته. وقد كان الرسول ﷺ يغير الاسم القبيح الذي يمس كرامة صاحبه ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية منه الى اسم حسن. فقد كان لعمر بن الخطاب ابنة يقال لها عاصية فسماها رسول الله ﷺ جميلة[2] كما غير اسم العاصي، عزيز، عتلة، شيطان، غراب. كذلك غير حربا الى سلم وغير المضجع الى المنبعث. وبني مغوية وبني الزنية الى بني الرِشْدَةِ وهكذا.

ثم قال لنا معلماً ومؤدباً كما روى مسلم في صحيحه : « إنّ أحب اسمائكم الى الله عز وجل عبدالله وعبد الرحمن ».

ولا عجب ان يحض الرسول عليه الصلاة والسلام أمة الاسلام في أن يتسموا بأسماء الأنبياء وبعبد الله وعبد الرحمن وما شابهها من الأسماء المعبرة حتى تتميز الأمة المحمدية على غيرها من الأمم في كل مظاهر حياتها لتكون دائماً خير أمة أخرجت للناس تهدي البشرية الى نور الحق

---

(١) الاغاني ج ١٤ ص ٢٦.

(٢) رواه الترمذي.

ومبادئ الإسلام فقد روى ابو داود والنسائي عن أبي وهب الجُشَمِيُّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ. « تسموا بأسماء الأنبياء. واحب الأسماء الى الله عبدالله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومُرّة ».

مداعبة الطفل وتأديبه

إن مراحل الطفولة الأولى تحتاج من الأبوين أن يكون كل واحد منهما على دراية بمنهج التربية الصحيحة لهذا الطفل الذي سوف يصبح فيما بعد لبنة قوية من لبنات المجتمع على قدر ما يعطيه الأبوين من قيم واخلاق وسلوك ينطبع في ذهن الطفل ... ومما لا شك فيه أن الطفل في أيامه الأولى لا يعرف اي شيء لكنه يأنس للحنان والدفء العاطفي والابتسامة الحانية. ولعل أكبر نصيب من ذلك تعطيه المرأة خاصة عند ترديده عليها للرضاعة ومداعبته بكلمات تدخل السرور على نفسه ثم ما تقوله من الاناشيد القصار لأن النساء يغنين لأولادهن ويرقصنهم بها ونذكر في هذا قول منفوسة بنت زيد الخيل وهي ترقص ولدها وتغنيه :

اشبه اخي او اشبهن اباك   اما ابي فلن تنال ذاك
تقصر عن مناله يداك

وقد يظن البعض أن في هذا تعجيزاً للطفل وتقصيراً لهمته عن أن ينال أباها لكن المفهوم أن ذلك مبالغة في الاغراء وافتنان في التشويق وخليق بالغلام أن يفكر حين يستمع ذلك الكلام في منزلة جده قبل منزلة الأب ونذكر قول فاطمة بنت أسد وهي ترقص ولدها عقيل بن ابي طالب:

انت تكون ماجداً نبيلاً   إذاً تهب شمالاً بليلا

وكذلك قول ام الفضل بنت الحارث وهي ترقص عبدالله بن عباس:

ثكلت نفسي وثكلت بكري ان لم يسد فِهراً وغير فهر
بالحسب الوافي وبدل الوفر

ولعلنا نذكر قول الأحنف بن قيس لمعاوية بن أبي سفيان عندما سأله عن رأيه في البنين فقال له : « هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحونك ودهم ويحبونك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك ».

لذلك على الأبوين ان يلاطفا اولادهما وأن يقوما بحسن الرعاية مع الرفق واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم.

كذلك ما قيل « لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً » ففي السنوات السبع الأولى من حياة الطفل على الأبوين ان يظهرا امام الأطفال بصورة مشرقة ليس فيها رفع الأصوات حتى لا ينزعج الاطفال ولا اعتداء من احد الأبوين على الآخر حتى لا يصاب الأطفال بالهلع والفزع والخوف والاضطراب. كذلك يجب على الأب ان يعلم قول الرسول ﷺ : « علموا اولادكم واهليكم الخير وأدبوهم ». وكذلك قوله : « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن ».

من طريف ما قيل ان العرب كانوا يحبون الذكور ويكرهون البنات والقرآن الكريم أكد على أن ذلك كان موجوداً في المجتمع العربي وعابه وذمه عليهم واخبر الحق سبحانه الناس جميعاً ان الأمر بيده .. فهو سبحانه .. يهب لمن يشاء أناثاً أو يهب لمن يشاء ذكوراً أو يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً .. تلك حكمته ومشيئته ولا معقب على ذلك.

وربما تكون البنت انفع للأب والمجتمع من الولد أو في قدومها خير وبركة للأبوين ولذلك قدمها في الذكر ترفيعاً لذكرها وتأكيداً على حبها

ورعاية أمرها، وعلى الانسان أن يرضى برزق الله من الأولاد سواء كانوا اناثاً أو ذكوراً ويفرح بهم ويعدل بينهم ولا يفضل ذكراً على انثى لأن ان فضل فقد اعتدى على حدود الله ومن يفضل ذلك فقد خسر خسراناً مبيناً، لذلك رويَ أن أعربيا تزوج من شابة واشتاق ان تلد له غلاماً. فولدت بنتاً. فهجرها وترك المنزل وتزوج بغيرها وبينما هو يسير في ليله بجوار زوجته الأولى التي انجبت بنتا سمعها تقول للبنت وهي تلاعبها :

ما لابـــي حمـــزة لا يأتينــــا   يظل في البيت الـذي يلينـــا
غضبــــان الا نلــــد البنينــــا   تالله ما ذلك في ايدينــــــا
وانمــــا نأخـــذ ما أعطينــــا   ونحـــن كالأرض لزارعينـــــا
تنبت ما قد زرعوه فينا

فلما سمع ذلك أسرع اليها وصالحها واحتضن ابنته وقبلها وقال ظلمتكما ورب الكعبة. كما حكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية ابن أبي سفيان بين يديه ابنته يداعبها ويلاعبها ــ فقال عمرو من هذه يا امير المؤمنين ؟ فقال معاوية هذه تفاحة القلب فقال عمرو انبذها عنك فوالله انهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن فقال معاوية لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزاب مثلهن ورب ابن اخت نفع خاله ذلك لأن البنت عماد البيت تطهو الطعام وتغسل الثياب وترتب المتاع وتمرض المريض وتعين الضعيف انها تقرب النائي وتدني البعيد بما يكون بين الأسر من مصاهرة التي لها اثرها البعيد في تقوية الرابطة وتوثيق عرى الالفة والمحبة والتآخي ومردّ ذلك الى بناتنا رياحين القلوب.

وروى الحميري عن ابي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ من كان له ثلاث بنات اخوات وبنتان أو أختان فاحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة.

وروى مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال من عال جاريتين حتى بلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهذين فضمّ اصبعيه.

وروى الطبراني عن جابر ان رجلاً اتى النبي ﷺ وقال له ابي اخذ مالي فقال رسول الله ﷺ اذهب وَأْتني بأبيك: وقبل أن يُحضر الولد والده، هبط جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ قائلاً له : اذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ولم تسمعه اذناه. فلما حضر الشيخ امام رسول الله ﷺ قال له ما بال ابنك يشكوك ؟ لِمَ اخذت ماله ؟ فقال الشيخ: وهل انفقته الا على عماته أو خالاته أو على نفسي ؟ فقال الرسول ﷺ (ايه) دعني من ذلك واخبرني عن شيء قلته في نفسك لم تسمعه اذناك، فقال الشيخ يا رسول الله لا يزال الله يزيدنا بك يقينا اني قلت في نفسي كلاماً ما سمعته اذناي فقال له قل وانا اسمع فقال قلت :

غدوتك مولوداً وعلتك يانعا	تعل بما ادنى اليك وتنهل
اذا ليلة نابتك بالشكوى لم ابت	لسقمك الا ساهرا اتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها	لتعلم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي	فعلت كما لجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار فلم تكن	علي بمال دون مالك تبخل

وهذه الأبيات من شعر أميّة بن ابي الصلت وهي من ابلغ ما قيل في الحقوق وفي وصف ما يقاسيه الاب في تنشئة أولاده وكان الرجل وهو متوجِّه للنبي ﷺ يرددها في نفسه ويرددها فؤاده ولم ينطق بذلك لسانه ونزل جبريل عليه يأمره الله الذي يعلم خائنه الاعين وما تخفي الصدور فأخبرا النبي ﷺ بها.

ولما كان الصبي في مراحله الأولى يحتاج الى من يفتح له أبواب

الكلام ويدربه عليه ويعوده النطق فعلى الوالد أن يفتح على أولاده الصغار اسلوب الكلام ويلقنهم لا إله إلا الله. ففي الحديث الذي رواه الحاكم عن النبي ﷺ « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله ».

واذا بلغ الطفل خمس سنوات فعليه أن يعوده على قراءة القرآن وان يبعث به الى معلم. فقد ورد ان الفضل بن يزيد رأى مرة ابن امرأة من الاعراب فأعجب بمنظره فسألها عنه فقالت : ان ابني هذا لما أتم خمس سنوات اسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن وتلاه .. وعلمه الشعر فرواه .. ورغب في مفاخر قومه .. ولقن مآثر آبائه وأجداده. فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرس وتفرس .. ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي وأصغى الى صوت الصارخ.

وقد نصح ابن سيناء في كتاب السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ليرضع اللغة الأصلية وترسخ في نفسه معالم الإيمان.

كذلك اوصى الامام الغزالي في إحيائه بتعليم الطفل القرآن الكريم واحاديث الأخبار وحكايات الأبرار ثم بعض الأحكام الدينية.

لكن ابن خلدون له رأي آخر اشار اليه في مقدمته لأنه اعطى أهمية لتعليم القرآن للأطفال وتحفيظه لهم واوضح ان تعليم القرآن هو اساس التعليم في جميع المناهج الدراسية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي الى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان.

يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم سورة من القرآن ».

إن الوالد عليه أن يلاحظ هذه الطائفة من التوجيهات التي سقناها وهو عليه أن يصطحب ولده معه الى المسجد ليتعود التردد عليه ويتعلم النظام

والعمل الجماعي ويشعر بحبه للمسلمين وتعامله معهم حيث يجتمعون في المسجد.

ومن هنا أخرج ابن جرير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله :

اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا اولادكم بامتثال الاوامر واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم من النار. وعندما يذهب بالولد الى المدرسة على الأب أن يقيم جسراً من التفاهم والعلاقات الطيبة مع أسرة المدرسة ليتعرف على من يعلم ولده لأن اخلاق المعلم سوف تنطبع في ذهن الولد وسوف تكون راسخة في أعماقه ولقد بلغ من اعتناء السلف الصالح بالولد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة بينهم وبين مؤدبيهم فكانوا يحزنون اذا غابوا عن الأولاد فترة لخوفهم على بنيهم. ولقد روى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع بولده الأمين الى المؤدب (المعلم) قال له « يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك له واجبة وكن له حيث وضعك أمير المؤمنين ... أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروِّه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا في أوقاته. كما روى الجاحظ ان عقبة بن ابي سفيان لما دفع ولده الى المؤدب قال له « ليكن اول ما تبدأ به من اصلاح، بُنيَّ، اصلاح نفسك فان اعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت وعلمهم سير الحكماء واخلاق الأدباء وتهددهم بي .. (خوفهم مني) وادبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« أدبوا اولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن ».

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى اهل الشام يقول لهم علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية.

وقال الحجاج لمؤدب ولده: علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم.

وقال أحد الحكماء لمعلم ولده: لا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فإن اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مُعضلة للفهم.

ومع كل هذا فانه لا بد ان يكون للصبي من رفقة حسنة يذهبون معه الى المدارس ويترددون معه الى المساجد ويجلسون مع بعضهم يفهمون لغة بعضهم ومشاعرهم يدركون بحسهم ما يجري في مجتمعهم من حكاياتهم لبعضهم ـــ ولهذا يقول ابن سينا في وصيَّته لتربية الولد:

« ان يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي أَلْقَنُ وهو عنه آخذ وبه آنس ».

لكل ما قدمناه تبين لنا بجلاء ووضوح أن على الوالدين أن يكونا على فهم ودراية بحقيقة الطفل وأنه في حاجة الى المتابعة والتوجيه كما أن عليهما أن يتخذا له اصدقاء من سنه ليأنس برفقائه ويتعود معهم الحديث والكلام فتتسع مداركه ويتأهب لمعايشة المجتمع مع الفهم الدقيق ومعرفة الأمور. ولهذا يكون رجلاً قوياً شجاعاً عنده حسن ظن بالناس وعلاقة طيبة بهم.

الثقة في النفس

ان الشخص في المجتمع اهم شيء يميزه أن يكون واثقاً من نفسه عنده قدرة على تحمل الصعاب ومواجهة الأحداث والتغلب على مشاكل الحياة ولن يتأتى ذلك الا اذا دربنا الطفل من الصغر على أن يكون عنده ثقة بنفسه واعتماد على خالقه مع علمه بأن الله مطلع عليه وانه معه يراه.

لذلك رغبنا الإسلام وحثنا على تنمية قدرات الطفل الذهنية وغرس القيم الاخلاقية فيه لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

فكلما علمت الولد صغيراً وجعلته يتعود ذلك في مراحل سنيه الأولى كلما انطبع ذلك في ذهنه واصبح عادة فيه وشيئاً مألوفاً لديه لا يستطيع أن يتركه بسهولة. لذلك قال الشاعر :

قد ينفع الأدب الاولاد في صغر وليس ينفعهم من بعده ادب
ان الغصون إذا عدَّلْتَهَا اعتدلت ولا يلين ولو ليَّنْتَهُ الخشب

ولهذا كان من عادة رسول الله ﷺ أن يجلس مع اصحابه ويطرح عليهم بعض الأسئلة ليجاوبوا عليها استنهاضاً لهممهم وحثا لهم على التفكير وبذلك يتنوع الفكر وتكون المعلومات من شخصيات متعددة فقد جلس الرسول ﷺ يوماً بين اصحابه وسألهم وفيهم عبدالله بن عمر راوي الحديث فقال : أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لا يتحات ورقها. يقول عبدالله : « فوقع في نفسه أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. فلما لم يتكلما. قال النبي ﷺ : هي النخلة » فلما خرجت مع أبي قلت : « يا أبت وقع في نفسي النخلة ». قال: « ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا ». قال: ما منعني إلا لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت[1].

ومن هذه القصة تبين لنا ان ابن عمر رضي الله عنهما عرف الحقيقة لكنه تهيب الموقف ولم يشأ أن يتكلم فيخطئ. لكن أباه شجعه وقال له لو كنت قلتها كانت خيراً لي من كل شيء لأنه يعتز بولده الذي رباه وعلمه وفقهه في امور الدين وكلما كان عند الولد ثقة بنفسه فهو لا يتهيب المواقف ولا يخاف. ولذلك قرأنا أن عمر بن الخطاب لمح بعض الأطفال يجمعون البلح من النخل فاتجه اليهم لينظر في أمرهم وعندما رأوه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب في باب (إذا لم يتكلم الكبير هل للصغير أن يتكلم ؟).

من بعيد فروا هاربين خوفاً من عمر لما عرفوا عنه من الشدة في الاسلام .. لكن طفلاً بقي واقفاً لم يهرب وفي حجره قدر كبير من البلح فسأله عمر عما في حجره فقال : إنه مما القته الريح وما يقذف بالحجارة .. وبفحص البلح اتضح صدق الطفل فأثنى عمر على شجاعته وثقته بنفسه وصدقه في الكلام وتركه وانصرف. لكن الطفل تعلق به وقال له لا تتركني. وسأله عمر عن السبب فقال له ان هؤلاء الأطفال خافوا منك فالقوا ما بأيديهم وجروا .. فاذا تركتني تجمعوا عليَّ وأخذوا متاعي بالقوة. فأنا خائف منهم وهنا تبين لعمر صدق الغلام فصحبه حتى اوصله الى بيته.

اليست الثقة في النفس التي اكتسبها الطفل من اول أيام حياته هي التي جعلته يقف أمام عمر وهو من هو. الرئيس الأعلى للدولة الاسلامية والخليفة العادل الذي هابته السلوك على اسرتها والذي ما سلك مسلكاً الا وفر الشيطان منه. ومع كل ذلك نرى هذا الصبي الصغير يقف في شجاعة وثبات وجرأة لأنه يتكلَّم بالصدق وينطق بالحق.

كذلك ما رويَ عن عبدالله بن دينار قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فانحدر بنا راع من الجبل فقال له عمر (ممتحنا) يا راعي الغنم بعني شاة من هذه. فقال الراعي اني مملوك. فقال عمر. قل لسيدك : أكلها الذئب. فقال الراعي : اذا كان الله معي يراني ويعرف كل شيء فماذا أقول له ؟ وهل أنا أخاف من الله أم أخاف من سيدي ؟ (اني اخاف الله رب العالمين) فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه. ثم قال له : أعتقك من الدنيا خوفك من الله وأرجو أن يعتقك في الآخرة.

ومن المعلوم أن الطفل اذا لم ينشأ منذ صغره على مراقبة الله والخشية منه ويتعود على الأمانة وأداء الحقوق فان الولد سيدرج على الغش

والسرقة والخيانة والكذب وأكل الأموال بغير حق ويكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع ويستعيذ من سوء فعاله الناس.

كذلك ما روي أن عمر بن عبد العزيز لما افضت عليه الخلافة أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز. فنظر الى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال له عمر ليتكلم من هو أسن منك يا غلام فانه احق بالكلام منك ... فوقف الصبي وقال :

يا أمير المؤمنين. لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك. قال عمر: صدقت. فتكلم. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك .. ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك. أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بَعْدِلِكَ فنحن وفد الشكر والسلام. فقال له عمر رضي الله عنه : عظني يا غلام. فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إن أناساً عزهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغرّه حلم الله وثناء الناس عليه، فتزلَّ قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ **ولا تَكونُوا كالذينَ قالوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعونَ** ﴾[1].

فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة.

فانشدهم عمر رضي الله عنه :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

وكذلك ما روي أن البادية قحطت في أيام هشام بن عبد الملك فقدمت عليه العرب فهابوا ان يكلموه وكان فيهم (درواس بن حبيب) وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢١.

فقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخل عليَّ إلا دخل حتى الصبيان ؟

فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً فقال يا أمير المؤمنين إن للكلام نشراً وطياً وإنه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته. فاعجبهُ كلامه. وقال له: انشرهُ لله درُّك.. فقال : يا أمير المؤمنين، إنه اصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم ... وسنة أكلت اللحم .. وسنة دَقَّت العظم .. وفي أيديكم فضول مال .. فإن كانت لله ففرِّقوها على عبادِه .. وان كانت لهم لمَ تحسبونها عنهم ؟ .. وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين .. فقال هشام : ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا .. فأمر للبوادي بمائة الف دينار .. وللغلام بمائة الف درهم .. ثم قال هشام للغلام : ألك حاجة ؟ قال : ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين .. فخرج من عنده وهو من أجل القوم.

كما حكي أن الحسن بن الفضل دخل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره الخليفة. وقال : يا صبي. تتكلم في هذا المقام. فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت صبياً فلست بأصغر من هدهد سليمان، ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام عندما قال له الهدهد: ﴿ **أَحَطتُ بما لم تُحِطْ بهِ وجِئتُكَ مِن سبأ بنبأ يقينٍ** ﴾[1]. ثم قال الصبي: ألم تر أن الله أفهم الحكم لسليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى فنظر اليه الخليفة وسكت.

إن مما قدمناه يبين لنا أن الثقة بالنفس تأتي من كون الفتى تربَّى على أسس دينية وقيم أخلاقية جعلته لا يهاب أحدا. ولسنا نقصد بذلك أنه فَقَدَ الحياء. وانما قلنا لا يهاب أحداً ... لأنه على الحق الذي يعتقده وعلى الصواب الذي يتمسك به وبالأدب الذي تربَّى عليه.

---

(١) سورة النمل الآية ٢٢.

ومردُّ دلك في الأصل الى الأم لأنها هي التي تجلس بجوار ولدها الساعات الطوال تقصّ عليه القصص الهادف وتؤجِّج فيه روح العزّة والكرامة، ولا تفزعه بأي كلام يخيفه أو يدخل الرعب عليه، أو تقص عليه قصص الغول والعنقاء وأبو رجل مسلوخة،وأشياء ترعبه وتفزعه وتجعل نومه متقطعاً فزعاً مما سمع. والأم التي بهذه الصفة يجب عليها أن تتعلم كيفية تربية الأولاد لأنه بفكرها تؤسس كيان الفتى أو تهدم بنيانه من الأول. ونذكر في هذا المقام السيدة أسماء بنت أبي بكر فلقد ثبتت في ولدها عبدالله بن الزبير روح الشجاعة والفداء في سبيل العقيدة والمغامرة في سبيل المجد ولم تغيّر همتها أبداً عن بث هذه الروح حينما شاورها فيما يصنع لمّا حاصرهُ جيش يزيد بمكة. وكان إذ ذاك في سن الثالثة والسبعين. وقد فهمت من كلامه أنه يريد أن يتخلّى عن مبادئه فأجابته مفضلة له الموت على الحياة ما دام يعتقد أنه على حق. وقالت له كلمتها الخالدة : « ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ».

ونذكر كذلك: ظعائن فتيات من بني كنانة خرجن في ركبهن وكان على خفارتهن ثلاثة من رجال القوم. أحدهم ربيعة بن مكرم. وكان غلاماً فتيّاً له ذؤابتان. فبينما هم في طريقهم أبصروا بجمعٍ من بني سليم يملك عليهم عرض الطريق، وبين الفريقين ثارات وأحقاد لا تلتئم جراحها ولا تخمد جذوتها. فقال ربيعة لمن معه: أنا آتيكم بخبر القوم. فلما هَمَّ بالسير، قالت امرأة : هرب ربيعة. فقال أخته : أين تنتهي نَعْرَةُ الفتى ؟ فعطف عليهن وقد رجف جسمه مما سمع. ثم أنشد يقول :

لقد علمت انني غير فرق لأطعنن طعنةً واعتنق
أصبحهم صاحي بمحمر الحدق غضبا حساماً وسنانا يأتلق

ثم انطلق يعدو به فرسه فأصاب رجلاً من بني سليم فقتله ورماه رجل منهم بسهمه فأصاب يده فنزف دمه فلحق بالظعائن يستدمي حتى انتهى الى امه :

فقال : اجعلي على يدي عصابة ثم اخذ يقول :

شدِّي على العصب ام سيار   فقد رزقت فارسا كالدينار
يُطْعَنُ بالرمح أمام الأدبار

أما أمه فلم يذهب بِلُبِّها ما رأت ولم يوهنها ما سمعت من ابنها عن السير به في سبيل الواجب فما كان جوابها إلا قولها :

انا بنو ثعلبة بن مالك   مرزء اخيارنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك   ولا يكون الرزء إلا ذلك

ولعل هذه الصورة تبين لنا أن الفتى لم يكن هياباً ولا وجلا وإنما كان مقداماً شجاعاً وان الام صبرت عندما رأت دم ولدها يسيل لم تفزع هي الأخرى لأنها إن فعلت ذلك أحس ولدها بالانهيار والضياع وهنا تكون الطامَّة والفناء.

إن الأمة الإسلامية الآن في حاجة الى ان يتعلم أبناؤها هذه الدروس المستفادة وان يلقنوها لأولادهم لأن الأمة الاسلامية الآن في حاجة الى رجال يردون عنها العدو الذي يتربص بها ويدفعون عنها السهام الطائشة التي توجه إليها. واذا كنا نريد رجالاً يتحملون المسئولية بكل دقة ومهارة، فعلينا أن نبدأ من الصغر في التعليم والتلقين وغرس القيم الأخلاقية العظيمة.

الاعتماد على الذات

الحياة كالبحر المتلاطم الأمواج إذا نزل فيه الانسان لا بد أن يكون على دراية بالسباحة والعوم والا غرق وهلك. كذلك الحياة تحتاج الى مهارة وقدرات ليستطيع الانسان التغلب على مشاكلها ومواجهة الأحداث برباطة جأش وثبات قلب وهمة عالية لا تعرف اليأس ولا القنوط. من أجل ذلك كان على الام أن تعلم ولدها أن يعتمد على ذاته من بداية حياته وذلك بأن تغرس فيه أن عليه أن يدخر من مصروفه اليومي حتى اذا تجمع لديه مبلغ من المال استطاع أن يشتري لنفسه الأشياء التي يرغب في

اقتنائها والحصول عليها. كذلك على الأم ان تدربه على أن يعتمد على نفسه في المذاكرة بحيث يحاول أن يكون على درجة من اليقظة والانتباه لما يلقيه المدرس من شرح وتفصيل وتحليل. ثم يعود هو الى البيت فيذاكر ويحصل ويتابع مع اساتذته اولا بأول.

أن على الأم ان تكون قدوة أمام طفلها فهي تحاول ألا تطرق على باب الجيران وتطلب منهم مساعدتها في أي شيء أو الحصول منهم على أي شيء إلا عند الضرورة وتفصح لولدها بأن الضرورة او الحاجة الملحة الجأتها الى ذلك وذلك ليس من عادتها لأنها تحاول دائماً ان تكتفي بما في بيتها لتضرب المثل امام أولادها أن يعتمدوا على ذواتهم من أول الأمر.

إن القرآن الكريم وهو دستور الانسانية الراشد دلنا على ذلك.

وقال الحق سبحانه وتعالى في بيان ذلك: ﴿ **يا ايها الذينَ آمنوا لا تَسْألوا عن أشياءَ إن تبدَ لكُم تَسُؤكُمْ** ﴾[1] فقد نبهنا الحق سبحانه وتعالى وهذا من باب التأديب من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ونهاهم عن أن يسألوا عن اشياء مما لا فائدة لهم في السؤال عنها. ذلك لأنه أراد من المؤمنين أن يتعودوا على عدم السؤال عن أشياء لا طائل من ورائها ولا خير فيها. لأن ذلك يجعل شخصية الانسان غير سوية ومهزوزة لانه يعتمد على غيره في حل مشاكله والسؤال عن كل ما يعن له وهو بهذا يفقد اتزانه ويلغي عقله ويسير وراء الغير دائماً.

من أجل ذلك : علينا أن نغرس في اولادنا ان على الواحد منهم أن يكون قوي الشخصية يعتمد على ذاته وان رأى ان الناس قد تخلوا عنه.

ونقف أمام شخصية سيدنا محمد ﷺ لنراه وقد ناداه عمه ابو طالب وقال له : يا ابن اخي. ان القوم هددوني واياك فابق علي وعلى نفسك.

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠١.

وخيل الى النبي ﷺ أن عمه تاركه وأنه سوف يتخلى عنه. لهذا رأينا الرسول ﷺ وقف شامخ الرأس قوي العزيمة غير هياب وقد بدت شفتاه تنفرج عن كلام. ووقف الزمن يرقب ما سوف يقوله محمد وانصت الكون بأسره لأن ما سوف يقوله سيترتب عليه الشيء الكثير. وهناك قال الرسول ﷺ « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ».

واذا ما تأملنا هذا النص النبوي الكريم فإننا نجد فيه أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ربه يعتمد على ذاته وأنه متمسك بمبدأه لأنه يعلم أنه على حق واليه يدعو.

من أجل ذلك كان على الآباء والمربين أن يلاحظوا نمو الطفل العقلي ويعطوه جرعة بعد جرعة في أنَّ عليه أن يعتمد على ذاته ويتمسك بذلك ليؤسس شخصيته وهي تنمو بذاتها وتكبر بشخصيتها لأنَّ مَن اعتمد على غيره من البشر فقد خسر الدنيا والآخرة ... ولقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ أنَّ قوة الذات تتأتى من قوة المراقبة لله وحسن الصلة به، وفي الوقت نفسه بالعلاقة الطيبة بالناس. هذه الأسس تجعل الانسان يتميَّز بين الناس بقوة شخصيته وثقته في نفسه واعتماده عليها، ولعل في حديث رسول الله ﷺ ما يرشد الى ذلك حيث قال عندما سئل عن الاحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

وفي قوله أيضاً وهو يوجه الوصية لابن عباس رضي الله عنهما : « يا غلام احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. اذ سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعونك الا بشيء قد كتبه الله لك. واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن يضروك، ما ضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفّت الصحف ».

ان رعاية الطفل وغرس هذه القيمة فيه تعطيه مزيداً من الثقة في نفسه لمواجهة الظروف القاسية التي قد يجتازها. ولعلنا نذكر على سبيل المثال والاستئناس أن الفتاة الأمريكية (هيلين كيلر) التي كانت مصابة بفقدان اغلب حواسها (الرؤية والسمع والنطق) أَلَّفَتْ بعض الكتب والتي تعتبر بحق من روائع ما كُتب في الآونة الأخيرة .. وما لنا نذهب بعيداً وأمامنا شخصيات مثل الدكتور طه حسين في الأدب، وسيد مكاوي في الموسيقى وغيرهم مثل عمار الشريعي. ولا نريد بذلك الا التذكير، ولكن المجتمع الإنساني مليء بالشخصيات التي اعتمدت على ذاتها وضربت بسهم وافر في الابتكار والتجديد والإتقان. ذلك لأنها أرادت أن تسجل على جبين الزمن أنَّ مَن اعتمد على الله كفاه ومَنْ وثق بنفسه نجح وفاز.

يقول بعض الحكماء : من اعتمد على الله عز. ومن اعتمد على غير الله ذل.

الثبات على المبدأ

تقتضي أسس التربية الصحيحة أن ينشأ الطفل على الثبات على المبدأ. وهذا العنصر هام في حياة الشخص لأن صاحب المبدأ تجده واثق الخطا في مشيه. يصل الى غايته بسرعة ويحقق أمله بهدوء لأنه لا يمشي في أي شيء الا وهو له دارس وفاهم حتى لا يتردَّد فيعجز، والذي يعجز في حياته عن تحقيق أهدافه وغاياته هو إنسان فاشل يتبرم بالحياة ويضج منها، ويشكو الزمن وقسوته. فإن قيل له عليك أن تُقدم وأن تكون شجاعاً غير هيّابٍ لا يتردَّد ولا يُحجم، يقول: أنا عارف أن الأيام تحاربني. ومثله هنا كمثل القائل وهو يرينا هذه الطائفة من البشر :

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

فالانسان الذي نشأ على الثبات على المبدأ تجده قويَّ الشخصية. ونذكر في هذا المقام سيدنا محمداً ﷺ. فلقد أعطانا المثل والقدوة على

الثبات على المبدأ وذلك عندما ذهب اليه الوليد بن المغيرة وقال له : يا محمد لقد جئتنا بأمر سفهت فيه أحلامنا وعبت به على آبائنا فاسمع مني أعرض عليك بعض الأمور: إن كنت تريد بما جئت مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أغنانا، وإن كنت تريد سيادة سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان الذي يأتيك رئي من الجن جَمْعنا لك الأطباء وبذَلْنا في ذلك من اموالنا الكثير.

وهذه كلها امور يسيل لها لعاب الشخص. لكن صاحب المبدأ لا يبيع مبدأه ولا يتخلى عنه حتى ولو وضعت بين يديه الدنيا بأسرها.

من أجل ذلك رأينا الرسول ﷺ بعد أن فرغ الوليد من كلامه بدأ يتلو عليه من أول سورة « فصلت » وهو بذلك يعلن رفضه لكل ما قالوه لأنه صاحب مبدأ لا يتخلَّى عنه وصاحب رسالة يؤمن بها ويدعو اليها.

ولما كان الايمان بالله له هيمنة على النفوس وثقة تملأ جوانح الشخص المؤمن بالله المتوكل عليه. الواثق بما عنده. كل ذلك له تأثير في نفس الانسان. أخبرنا ربنا أن علينا أن نعتدل في حياتنا لا نقصر في الواجبات التي نؤديها لله ولا نهمل في العمل الموكول إلينا. وعندما نؤمن بالله ربّاً وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، ونؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ونؤمن باليوم الآخر وأنه آت لا ريب فيه ونؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله، فإن علينا أن نقيم الاعتدال في أنفسنا فلا نفرح إن أقبلت علينا الدنيا ولا نحزن إن ادبرت عنا لان في ذلك خيراً للمؤمن وليس ذلك إلا من خلال الإيمان بالله. وقد أرشدنا الحق الى تلك القاعدة العظيمة فقال: ﴿ **لكي لا تَأْسَوْا على ما فاتكُم ولا تَفرَحوا بِما آتاكُمْ** ﴾[1].

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٣.

أي إن الايمان بالله يعلم الإنسان المسلم أن الدنيا هي ملك الله يمنحها للكافر والمسلم لأنها فانية وكل ما فيها الى زوال .. لكن معرفة الله والايمان به لا يوفق له الا الانسان الصالح الطيب. وكان مقتضى ذلك أن على المسلم أن يعمل بكل طاقاته الفكرية والمادية والعضلية وان يستنفد كل خبرته في الأعمال الطيبة النافعة سواء كانت دينية أم اجتماعية ــ المهم أن تكون سامية الهدف مؤسسة على الخلق الفاضل وهو يبذل كل جهده ويعمل بكل طاقاته عليه أن يكون راضي النفس بما أفاء الله عليه وهو مؤمن ان ما عند الله خير وأبقى. ولذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن. إن أصابته نعماء شكر وان أصابته ضرّاء صبر ».

ولقد حفل القرآن الكريم وهو مأدبة الله في الأرض بذكر نماذج من البشر شخصياتها مضطربة ليس بين جوانحها ثقة في نفسها لذلك كانت مضطربة لا تثبت على كلمة ولا على مبدأ وهؤلاء خسروا الدنيا والآخرة.

ومن هؤلاء « ثعلبة » الذي كان فقيراً وذهب الى رسول الله ﷺ يشكو فقره فيقول له الرسول ﷺ : « يا ثعلبة » قليل تُؤَدِّي شكره خير من كثير لا تؤدي شكره » فيقول : يا رسول الله اسأل الله لي الغنى.

وكان رسول الله ﷺ يرده لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كانت فيه فراسة فكان يشعر بأن ثعلبة كذاب لكنه من حلمه وكرمه لم يشأ أن يرده كل مرة. وأخيراً تطلع الرسول ﷺ الى الله وسأله أن يمنح ثعلبة الغنى. وقد استجاب له وتحقق لثعلبة ما أراد وأصبح من أغنياء الناس فأعطاه قطعاناً من الإبل والغنم والبقر حتى ضاق الوادي بما يمتلك بعد أن كان فقيراً لا يجد ما ينفعه. ولأنه لم يكن صاحب مبدأ فقد منع الزكاة. وقال لن أدفعها لأنها إتاوة مني لمحمد وهي أخت الجزية. فغضب الله عليه وأهلكه وماله وصار عبرة تحكى وقصة تروى لكل إنسان متردد يميل مع الهوى والمال.

وقد انزل الله سبحانه وتعالى قرآنا يتلى ليكون للناس نبراساً ودليلاً على

أن الثبات على المبدأ أنجح شيء في الحياة يقول الله تعالى: ﴿ **ومنهم مَّنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِّن فَضلهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ من الصالحينَ * فلما آتاهُم مِّن فضلهِ بَخِلوا بهِ وتولَّوا وَّهُم مُعرِضُون * فأعقبَهُمْ نِفَاقاً في قلوبِهم الى يومِ يلقونَهُ بما اخلَفُوا الله ما وَعَدوه وبما كانوا يَكذِبونَ * ألم يَعْلَمُوا أن اللهَ يَعلمُ سِرَّهُم ونجواهُم وأنَّ الله علَّامُ الغُيُوبِ** ﴾[1].

ومن خلال هذه القصة يتبين لنا ان ثعلبة لم يكن صاحب مبدأ وإنما كان يجري وراء المنفعة ويحرص على الثروة ولا يهمه أي شيء بعد ذلك. مثله في ذلك مثل قارون الذي كان من قوم موسى والمال قد أعماه وحب الدنيا ألهاه والإقبال على المتع وإشباع الرغبات جرفه وقذف به في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. لذلك عاش في ظلام القلب وعمى البصيرة متردداً في مبدأه. لذلك قال الله عنه : ﴿ **إن قارونَ كان من قومِ مُوسى فبَغَى عليهم وآتيناه منَ الكنوز ما إن مفاتِحَهُ لتنوءُ بالعصبة أُولي القوة إذ قال له قومُه لا تفرَحْ إنَّ الله لا يُحِبُّ الفرحين * وابتغِ فيما آتاكَ الله الدارَ الآخرة ولا تَنْسَ نصيبَكَ منَ الدُّنيا وأحسِنْ كما أحسَنَ اللهُ إليكَ ولا تبغِ الفسادَ في الأرض إنّ الله لا يحبُّ المفسدين * قال إنما أوتيتُه على علمٍ عندي أوَلَمْ يعلَمْ أنَّ الله قد أهلكَ مِنْ قبلِه مِنَ القرون مَنْ هو أشدُّ منه قوةً وأكثرُ جمعاً ولا يُسأَلُ عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قالَ الذين يريدُون الحياةَ الدنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتيَ قارون إنه لذُو حظٍّ عظيم * وقال الذين أوتوا العلمَ ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلَقَّاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونهُ من دونِ الله وما كانَ من المنتصرين * وأصبح الذين تمنَّوا مكانه بالأمس يقولون وَيْكَأَنَّ الله يَبسطُ الرزق لمَنْ يشاءُ من عبادِهِ ويقدرُ لولا أنْ مَنَّ الله علينا لخَسَفَ بنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفلحُ**

(١) سورة التوبة الآيات ٧٥ ــ ٧٨.

الكافرون * تلك الدارُ الآخرة نجعلُها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[1].

واذا كنا قد ضربنا المثل بشخصيتين مترددتين ليس عندهما ثبات على المبدأ لأن الايمان خلا من قلبيهما، ولم تستقر الثقة بالله في نفسيتهما، فإننا نضرب مثلاً بشخصيات أخرى لها ثبات على المبدأ تتمسك به ما دامت تؤمن به أنه حق؛ فإسماعيل عليه السلام عندما قال له أبوه: ﴿ **إني أرى في المَنامِ أني أذبَحُكَ** ﴾[2] وهو يعلم أن أباه صادق وانه لا يقول الا الحق لأنه نبي يخاطب من السماء ويتنزل عليه الوحي. لذلك قال في ثقة واطمئنان: ﴿ **يا أبتِ افعَل ما تُؤمَرُ ستجِدُني إن شاءَ اللهُ مِنَ الصابرينَ** ﴾[3].

كذلك بلال بن أبي رباح الذي نزل به عذاب لو نزل على جبال لتفتّتْ، ولكنه استمسك بدينه ولاذ بإيمانه واعتصم بالصبر وتقوّى بحسن الثقة في الله لذلك لم يزد على قوله مع شدة العذاب وضراوته : « احد. احد. احد. فرد صمد ».

ومصعب بن عمير الذي ولد وفي فمه ملعقة من الذهب كما يقولون لغنى أبيه وأمه فلما أسلم ومنع عنه ما كان يتقاضاه منهما وأصبح في حالة يرثى لها من الهزال والضعف وشظف العيش لم يقبل أي شيء فيه مساس بدينه أو عقيدته.

وهناك الكثير والكثير من الصحابة وممن حفظ التاريخ أسماءهم ووعاها ــ هؤلاء نجحوا في حياتهم وسجل التاريخ أسماءهم بحروف من نور على جبين الزمن لأنهم من أصحاب المبادئ.

---

(١) سورة القصص الآيات ٧٦ ــ ٨٣.

(٢) و (٣) سورة الصافات الآية ١٠٢.

لذا وجب على الآباء والمربين أن يدرِّبوا الأبناء على الثبات على المبدأ وخير المبادئ التي يتمسكون بها الإيمان بالله والالتزام بما فرض الله والحرص على أداء الواجبات ليعيش الانسان في الدنيا سعيداً ناجحاً في حياته ويبعث يوم القيامة في أمن وهدوء وسلام.

ونذكر في هذا المقام قصة لثلاثة أشخاص أراد الحق سبحانه وتعالى اختبارهم لمعرفة ثباتهم على المبدأ من عدمه وكانوا : اعمى وابرص وأقرع. وقد أرسل الله ملكاً يعرض عليهم أن يطلبوا منه ما يتمنون ليمتحنهم به فينظر ما هم فاعلون فيما يجيبهم اليه من أمنيات — وهو أعلم —. وذلك فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرصَ، وأقرعَ، وأعمى، اراد الله ان يبتليهم، فبعث ملكاً. فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال : لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه قذره. وأعطي لوناً حسنا. قال : فأيُّ المال أحب اليك ؟ قال : الإبل. فأعطى ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحبُّ اليك ؟ قال : شَعْر حسن. ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه. وأعطي شَعْراً حسنا. قال : فأيُّ المال أحبُّ اليك ؟ قال : البقر. فأُعطي بقرة حامل. وقال : بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحبُّ اليك ؟ قال : أن يردَّ الله اليَّ بصري فأبصر الناس فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال : فأيُّ المال أحبُّ اليك ؟ قال: الغنم. فأُعطي شاة ولوداً. فانتج هذان. وولد هذا. فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، والمال، بعيراً، أتبلَّغ به في سفري. فقال : الحقوق كثيرة. فقال : كأني أعرفك « ألم تكن أبرص يقذرك

الناس فقيراً فأعطاك الله » فقال : انما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا. ورد عليه مثل ما ردَّ هذا. فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري ؟ فقال : قد كُنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري. فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله ما اجهدكَ اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال : أمسِكْ مالك فإنما ابتليتم. فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبَيْك[1].

الانتفاع بالوقت

على الآباء والمربين أن ينمُّوا في مشاعر الطفل أنَّ كلَّ شيء يفقده الإنسان يمكن أن يسترجعه من جديد إلا الوقت لأن كل دقيقة تمر على الإنسان لا تعود عليه أبداً. ومن هنا كان أعظم شيء يملكه الإنسان هو الوقت فهو الثروة وهو الجاه ولا يليق بعاقل أبداً أن يفرط في الوقت. ولذا قال الشاعر :

دقات قلب المـرء قائلـة له إن الحيـاة دقائـق وثـوان

كما يقول الآخر :

يسرُّ المرء ما ذهب الليالـي وكـان ذهابهـن له ذهابـا

ان عمر الانسان عبارة عن دقائق، وساعات، وسوف يحاسب على كل دقيقة من عمره؛ فمَنْ ضيع الدقائق في خير فهو في سعادة ومَنْ أهملها

---

(١) حديث متفق عليه.

فقد خسر. ولذا يقول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه » ؟

ولعل من أروع الحكم المأثورة عن الحسن البصري قوله : ما من يوم ينشقُّ فجره إلَّا نادى منادٍ من قبل الحق : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود عليك إلى يوم القيامة.

إن الليل يخلف النهار ويخلف النهار الليل وحركات الأفلاك سائرة، ورب العالمين لم يخلق هذا عبثاً، وإنما خلقه لغاية وحكمة. فعلينا نحن أن نعرف قدرة الخالق ونشكره على ذلك ونجعل كل دقيقة من عمرنا شكرا لله وثناء عليه وعملاً متصلاً لخدمة المجتمع نحيا فيه لأن الاسلام نظر الى قيمة الوقت في كثير من أوامره ونواهيه فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان كان حكيماً في مُحاربة طوائف المتبطلين، الذين ينادي بعضهم على بعض : تعالوا نقتل الوقت بشيء من التسلية. وما درى هؤلاء أن هذا لعب بالعمر وأن ضياع الوقت بهذه الصورة إهلاك للفرد وإضاعة للأمة لأن الإسلام دين يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن.

وقد جاء في ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ **إن في اختِلافِ الليلِ والنهارِ وما خَلقَ الله في السماواتِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يتّقونَ * إنَ الذينَ لا يرجونَ لِقاءنا وَرَضُوا بالحياةِ الدنيا واطمأنوا بها والذينَ هم عن آياتنا غافلونَ * أولئكَ مأواهُمُ النار بما كانوا يَكْسِبونَ** ﴾[1].

ولعل في قول القائل : « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » ما يبين بوضوح قيمة الوقت عند العقلاء.

ان الزمن لا يقف محايداً لأحد فهو اما صديق ودود أو عدو لدود. ولذا قال القائل :

---

(١) سورة يونس الآيات ٦ ــ ٨.

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداة ومر العشي

ويقول الآخر : « الواجبات أكثر من الأوقات ».

من هنا فإن المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة لأن الوقت عمره فإذا سمح بضياعه فهو بهذا ينتحر لأن الزمن يكسر الظهور ويطوي الآجال ويفني الحضارات وهذا الزمن نفسه هو فرصة للأحياء العقلاء الأذكياء ليستغلُّوه في فعل الخير وإسداء المعروف الى الآخرين.

ومن حرص الاسلام على الوقت وتنبيه أتباعه الى القيمة الحقيقية له وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام.

فالصلوات الخمس تكتنف اليوم كله، وصوم رمضان والحج كلاهما تذكير بأشياء عامة تربط المجتمع المسلم برباط واحد، والأعياد لها كذلك مناسبات تذكر الناس بأشياء ودروس مستفادة وصدق الله العظيم :
﴿ **يُقلِّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ إن في ذلكَ لَعِبْرَةً لأولي الأبصارِ** ﴾[1]
ويقول رسول الله ﷺ: « نعمتان مغبُون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[2].

فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرف قدرها الا المرضى. والفراغ لو أن الانسان قضاهُ في الخير والعمل المثمر والسعي على مصالح الناس لكان ذلك من أحسن الأشياء وأكثرها فائدة.

وأطفالنا في حاجة الى أن يعرفوا ذلك بأسلوب يتناسب مع قدرتهم الفكرية. فنحن ندفع بهم الى القراءة والكتابة وتعويدهم على الحرف النافعة وتدريبهم على المهن المفيدة، بحيث لا يكون هناك وقت ضائع لأننا نأسف عندما نرى بعض شبابنا يمشون في الشوارع يتصايحون

---

(١) سورة النور الآية ٤٤.

(٢) رواه البخاري.

ويتمايلون ويضحكون، ولا حساب للزمن عندهم وهؤلاء يشفق الواحد عليهم لأنهم لو سمعوا ما قاله رسول الله ﷺ : « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »، لكان الواحد منهم ينتهي عن هذا النوع من العبث واذا سألت أحدهم قال لك : « لم يرشدني أحد » لذلك كان على المربين والآباء الدور الهام وهو تعويد الطفل على احترام الوقت وعدم ضياعه الا في المفيد النافع وعلينا أن نشبه لهم الزمن بأنه كالرصيد في البنك فاذا بدأ الانسان يسحب من رصيده دون أن يودع فيه وان يستثمر الباقي فان الرصيد ينفد وبعدها يندم الانسان ولا ينفع الندم.

من هنا علينا أن نعلم أن العمر قصير والحاضر الذي يحيا الانسان في نطاقه ضيق جداً، والعقل لا يستمدّ كيانه وتألقه ونفاذه من وراء الانكماش والانعزال والقصور.

لكن استغلال الإسنان لوقته في كل عمل نافع ومفيد قراءةً، أو الاستماع الى العلم او الكتابة أو السعي في مناكب الأرض. فكل ذلك يعود على الانسان بثروة طائلة من الأفكار والآراء تزيد خبرة الشخص بالعالم الذي حوله مع زيادة نمو عقله واتساع أفقه. وكل ذلك يؤصل فيه معرفته بالله رب العالمين. والإسلام يبني الايمان الراسخ على هذه الدعائم المكينة من التروي والتأمل والاستكشاف. يقول سبحانه ﴿ **قد خَلَتْ من قبلِكُم سُنُنٌ فسيروا في الأرضِ فانظروا كَيفَ كان عَاقبةُ المُكَذِّبينَ * هذا بيانٌ للناسِ وهُدى ومَوعظةٌ للمتقينَ** ﴾[1]. لذلك فإنه على المربيـن أن يغرسوا في الطفل والفتى والشاب قيمة الوقت مع شدة الحرص على الانتفاع به في أي عمل مفيد يكون من ورائه الخير لإسعاد الفرد ومجتمعه، لأن كل دقيقة تضيع يندم عليها الإنسان في المستقبل. لذلك، حذرَنَا ربنا من ضياع الوقت خوفاً من الندم في يوم لا ينفع فيه مال ولا

(١) سورة آل عمران الايتان ١٣٧ و ١٣٨.

بنون. ويصور الحق سبحانه ذلك في قوله: ﴿ **ويومَ تَقومُ الساعةُ يُقسِمُ المجرمونَ ما لبِثوا غير ساعةٍ** ﴾[1] ذلك لأن المجرم يضيع وقته في اللهو واللعب ولا يشعر بضياع العمر. ولا يندم عليه في الدنيا وإنما يكون الندم والحسرة يوم القيامة.

وصدق من قال: « ما فات مات والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها ».

وهذا إرشاد من قائل المثل أن الانسان الشاطر هو الذي يغتنم الساعة التي هو فيها في عمل مفيد لأنه لو ذكر نفسه بالماضي لن يستطيع رَدَّ الزمن لتعود عليه أيامه الأولى وهو بالتالي لن يوقف عجلة الزمن المتحرك دائماً.

فدَعْ ما فات لله ولا تشغل نفسك به ولكن عليك أن تذكر نفسك بما حدث منك في الزمن الماضي لتأخذ العبرة للحاضر .. أما بالنسبة للمستقبل فهو غيب في علم الله والغيب لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل. ولذا يقول الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ : ﴿ **قُل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كُنتُ أعلَمُ الغيبَ لاستَكْثَرْتُ من الخير وما مَسَّني السوءُ إن أنا إلاَّ نذير وبشير لقوم يؤمنون** ﴾[2]

أما الساعة التي يحيا فيها الانسان يتمتع بصحته وكامل عقله وقدراته العضلية فعليه أن يغتنم تلك الساعة ليعمل عملاً طيباً صالحاً في مهنته؛ إن كان زارعاً فكر في زيادة محصوله وباشر أرضه. وإن كان عاملاً اتقن صنعته وفكر في ادخال المحسنات عليها. وإن كان تاجراً حاول أن يكسب ثقة الذين يتعاملون معه من خلال صدقه وأمانته .. وإن كان

---

(١) سورة الروم الآية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٨.

موظفاً أدى واجبه نحو الجمهور بصدق وأمانة وفطانة ونزاهة. وإن كان طالباً ذاكر دروسه. وعلى أي حال عليه أن ينمّي قدراته العقلية بالقراءة أو الجلوس الى العلماء ومزاحمة الأدباء والتردُّد على مجالس الكبار يأخذ منهم وينقل عنهم ولا يضيع وقته أبداً حتى لا يندم في المستقبل. ونستأنس هنا بقول الشاعر :

وخيرُ جليسٍ في الدّنى سرجُ سابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ

ألا فلنتعلم لنعظ أنفسنا وخير القول ما توافق مع العمل . وصدق الله العظيم الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً إذ يقول: ﴿ **إنَّا لا نُضِيع أجرَ مَنْ أحْسَنَ عملاً** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وقل اعمَلوا فسيرى الله عمَلكُم ورسوله المؤمنون وسَتُرَدُّونَ الى عالم الغيبِ والشهادةِ فَيُنَبِئُكم بما كنتم تعْمَلونَ** ﴾[2].

احترام الكبير

من القيم الاخلاقية العظيمة أن الاسلام أوصى اتباعه أن يكونوا على خلق كريم وان يتعايشوا مع بعضهم بالحب والاخاء والرحمة والتعاون بلا حقد ولا حسد ولا بغضاء. ومن أجل تطبيق تلك المبادئ نبهنا الاسلام الى أن نملأ الجو حولنا بعبير الاحترام المتبادل بين كل فرد وآخر والانسان عندما يحترم الآخرين فهو يحترم نفسه أولاً لأنهم سيبادلونه احتراماً باحترام.

ومما لا شك فيه أن كل مجتمع فيه الصالح والطالح والمحب والمبغض لأن الناس لم تجمع رأيها على أمر واحد أبداً، لكن ثبت بالتجربة أن الانسان إذا احترم الناس أحبوه، وان ظهر الحقد في تصرفاتهم

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٥.

وتفوهت به ألسنتهم. لكن سرعان ما تتضح الحقيقة وينكشف الأمر وتبرأ ساحة المظلوم اذا كان باراً بالناس حفياً بهم عطوفاً عليهم يتودَّد الى الغير وهو مؤمن بأن الله هو المكافئ له. ولذا قال الامام علي كرم الله وجهه :

إزرع جميلاً ولو في غير موضعِهِ فلا يضيعُ جميلٌ أينا زرعا
إن الجميل وان طال الزمان به فليس يحصده الا الذي زرعا

ومن المعلوم أن مَنْ زرع ورداً جنى ورداً، ومن زرع شوكاً حصد شوكاً. وعلينا نحن أن نربي أولادنا على هذا المبدأ الاخلاقي وهو أن يحترم الصغير الكبير. وفي ذلك جاء قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ». كما أنه قد جاء في الأثر أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان يركب بغلة ويمشي بها في شوارع المدينة فقابله عبدالله بن مسعود فأخذ بلجام الدابة وسار، فقال عبدالله بن عباس : دَعْ زمام الدابة يا عبدالله. فقال هكذا أمرنا أن نفعل مع آل بيت نبينا. فنزل عبدالله بن عباس وأخذ بيد عبدالله بن مسعود وقبلها، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل مع علمائنا.

ولعل في هذا ما يشير إلى جواز تقبيل يد العلماء والصالحين، خاصة وأن الذي فعل ذلك هو ترجمان القرآن ونحن علينا أن نعلِّم أولادنا ذلك. أن يحترموا مَنْ هم أكبر منهم سناً بحيث لا يدخل الولد على أبيه أو أمه أو أخيه الأكبر أو رئيسه في العمل أو أستاذه (والسيجارة) في يده، أو يدخل وهو في حالة من التعالي والاستكبار؛ فإن ذلك يولد الحقد والضغينة.

إن الأدب والاحترام المتبادل بين الناس يؤسس دعائم الحب ويؤصل دعائم الخير في نفوس الجميع ونستأنس هنا بما وقع من سيدنا العباس بن عبد المطلب (عم رسول الله ﷺ). فقد كان يمشي في صحبة النبي العظيم فلقيهما رجل فوجه الكلام الى سيدنا العباس وسأله قائلاً : أنت

أكبر أم محمد ؟ فرد العباس بما عهد فيه من لباقة وفطانة وذكاء قائلاً : « محمد أكبر مني وأنا أسنُّ منه ».

ومن هذه القصة يتبين لنا أسلوب الأدب حتى في الرد اللفظي عند توجيه السؤال. وكل ذلك يتطلب كياسة وفراسة وتروٍّ قبل الرد. وعلى هذا علينا أن نغرس في نفوس أبنائنا أن يستمعوا إلى السؤال جيداً قبل الإجابة حتى لا يقعوا في خطأ قد يسيءُ الى الشخص من حيث لا يشعر وصدق من قال :

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ ولا تكن ثرثــارة في كل ناد تخــطب

وقيل كذلك فيما أثر عن الامام علي رضي الله عنه : « المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا تحت طيلسانه [مظهره]. ». فالتمهل في الرد ليكون هناك استيعاب للسؤال يأتي بالخير دائماً.

واذا كان الاسلام رغبنا في ذلك فإنه رغبنا كذلك في الاعتذار إذا وقع منا خطأ سواء كان عن عمد أو عن غير عمد.

وبعض الناس يحتجّ ويقول : أنا حر أفعل ما أشاء. هل تريدون تقييد حريتي ؟

ونقول لمن يقول ذلك : إن الاسلام لا يقيِّد حريتك أبداً ولكنه يقول لك أنت حرّ في أن تحرّك يدك في أي اتجاه تشاء بحيث لا تمس بها أنف الآخرين. فحريتك هنا مقيدة بعدم الإضرار بالغير لأنه من اعتدى على غيره فإن القصاص حق مطالب به لقول الله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اعتدى عليكُم فاعتَدُوا عليهِ بمثلِ ما اعتدى عليكُم** ﴾[1] من هنا وجب على المربين جميعاً أن يتنبهوا لذلك وأن يغرسوا في نفوس الأبناء حبّ الآخرين واحترامهم ليشبُّوا أصفياء أتقياء ليس فيهم أنانية ولا جشع ولا استعلاء ولا

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٤.

تكبُّر وإنما حبٌّ وإخاء وألفة وتواضع. وبحيث لا يكون هناك ضرر ولا ضرار.

اختيار الصديق

من العادات الاجتماعية أن يكون للإنسان أصدقاء يأنس بهم ويقضي بعض الوقت معهم يتسامرون ويتبادلون طرف القول وملح الأحاديث ومما لا شك فيه أن الصديق إذا كان في عمر مَنْ يصادقه فإن العواطف تترابط والنفوس تتآلف لقرب الأحاسيس ووحدة المشاعر ولقد حفلت السنة النبوية بأن على الإنسان أن يتخيَّر لصداقته الأكثر أدباً والأفضل علماً والأقوم سلوكاً، لأن الصديق يؤثر في الصديق بحيث اذا كانت أخلاقه طيبة فإنه يؤثر في صديقه، والعكس كذلك، فإن الانسان المنحرف هو بالتالي يؤثر في صديقه. ولقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ».

ولقد كان الواحد إذا أراد أن يتعرف على شخص ما يسأل عن صديقه أولاً لأنه يعلم أن الصديق الى الصديق أميل وكلاهما يؤثر في الآخر.

وأطفالنا في حاجة الى مَنْ يقاربهم سنا لتكون لهم ومعهم أدوار من اللعب والمرح والتسلية. فعلينا نحن الكبار أن نتخيَّر لهم مَنْ هم في مثل سنهم لأنهم في تلك المرحلة قابلون للتشكيك ومائلون الى كل ما يُمال بهم اليه. فإن عُوِّدَ الطفلُ الخيرَ وعلمه نشأ عليه وسَعُدَ في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وان عود الشر وأهمل، شقي وهلك وكان الوزر في رقبة والدَيْه ومعلمه. وعلى الوالد أن يبعد ولده عن مصاحبة قرناء السوء والذين عودوا على التنعم والرفاهية، وكذلك مَنْ ساءت أخلاقهم. لأن تربية الأطفال في الاسلام لا تقف عند

تعليمهم وإنما تمتد الى تربية خلقهم وبعث الصفاء في نفوسهم وتنظيم العادات الطيبة فيهم ورسم الطريق أمامهم لتكوين الإنسان الناجح الصالح الذي ينفع دينه ووطنه ونفسه.

العادات والتقاليد

إن الطفل قد ينشأ في بيت له عادات وتقاليد تتأصَّل في نفسه وتصير طبعاً فيه .. لكن التعليم يهذِّبه فيما بعد ويغيِّر من عاداته التي نشأ عليها إن كانت غير طبيعية. واذا كان الطبع يغلب التطبُّع فإن الأسرة هي التي تطبع في ذهن الطفل كل القيم الأخلاقية والآداب السلوكية. فعلى المربِّين أن يكونوا نماذج حسنة أمام الأطفال، وعلى الواحد منهم أن يلاحظ الصبي فاذا ظهر منه خلق جميل وفعل محمود فيكرم ويجازَى بما يفرحه ويمدحه بين أظهر قرنائه.

وإن ظهر منه في بعض الأحوال شيء يخالف السلوك الحسن فيوجَه برفق ولا يعنف ولا يوبخ. وعلى الأم ألَّا تخوِّف الولد من الأب عند خطئه، بل عليها أن توجِّهه الى الفعل الحسن والسلوك الطيب. وعلى الأم أن تلاحظه نهاراً بحيث لا ينام ساعات النهار لأن ذلك يورث الكسل، ويُعوَّد في بعض النهار على المشي والحركة حتى لا يغلب عليه الكسل.

وعلى الأبوين أن يعلماه التواضع بحيث لا يفتخر على أقرانه بشيء مما تمتلكه الأسرة ولا بما لديه من ملابس وأدوات ويعلم على أن يمدَّ يده بالخير الى الغير .. كذلك يُعَوَّدُ ويعلَّم على ألَّا يبصق في الشوارع ولا يتمخَّط ولا يتثاءبَ بحضرة غيره، فإن غلبَهُ التثاؤب وَضَعَ يَدَهُ على فمه. كذلك إذا عطس فإنه يدير وجهه بعيداً عن وجوه الآخرين وأن يستعمل (منديله) ويعلم على ألا يضع رجلاً على رجل ويمنع من كثرة الكلام ليتعلم حسن الاستماع، ويُعَوَّدَ على عدم الحلف بالله صادقاً أو كاذباً لغير ضرورة وإذا دخل عليه في مجلسه من هو أكبر منه سناً وأكثر علماً فعليه

أن يقف احتراماً، وأن يوسع له في المكان حسبما قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ: « وقوفي للعزيز عليَّ فرض ».

وعلى الأب أن يغرس في نفس الطفل الجود والكرم والسخاء وأن يعلِّمه أن الرزق من عند الله وأن الرزق يساق للإنسان حسب مشيئة الله الرزاق الكريم. ذلك لأن الجود صفة محمودة وخلق طيب ولقد علمنا الإسلام هذه الصفة وقصَّ علينا القرآن الكريم بعض قصص الإيثار كقوله سبحانه عندما مدح الأنصار الذين اكرموا المهاجرين وبسطوا أيديهم بالخير لهم : ﴿ **ويؤثرون على أنفُسِهِم ولو كان بهم خصاصةٌ** ﴾[1].

ومن الاخلاق الفاضلة التي يجب أن يعوَّد عليها الأطفال « الحياء ».

والحياء خلق جميل بل هو شطر الإيمان. وقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه به كثيراً فيقول : « استحيوا من الله حق الحياء. قلنا : يا رسول الله، إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله. قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ».

إن الشخص إذا فَقَدَ حياءه فهو إما فاحش فاجر متبجِّح وإما أنه لا يعرف أيَّ شيء في الحياة. ولذا جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل إذا اراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ». ويؤيد ذلك ما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « ما كان الحياء في شيء إلا زانه. وما كان الفحش في شيء إلا شانه »[2].

وفي حديث الطبراني: « لو كان الحياء رجلاً لكان رجلاً صالحاً. ولو كان الفحش رجلاً لكان رجلاً سوءا ». ان الانسان وهو يتعامل مع الناس عليه أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم وأن يؤتى كل ذي فضل

---

(١) سورة الحشر الآية ٩.

(٢) رواه الترمذي.

فضله .. فالغلام وهو يتكلم مع من يكبره عليه أن يخفض صوته وأن يتكلم بأدب .. والتلميذ مع من يتعلم منه عليه أن يتواضع له وأن يتأدب بحضرته. ففي الحديث : « تواضعوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ منه »[1].

وقد قال الشاعر :

قُمْ للمعلـــم وفِّـــهِ التبجيـــلا   كادَ المعلمُ أن يكونَ رسولا

ان الحياء ليس جبناً فإن الرجل الخجول يفضل أن يراق دمه على أن يراق ماء وجهه وتلك هي الشجاعة في اعلى صورها .. إن الحياء ملاك الخير وهو عنصر النبل في كل شيء. ولا شك أن الحياء الكامل يسبقه استعداد فطري لأن هناك عناصر من البشر تكاد الصفاقة تكون طبائعهم الدائمة. وفرق كبير بين الاثنين؛ فإن الحياء لا يأتي الا بخير. أما الصفاقة والوقاحة وتبلُّد الاحاسيس فكل ذلك يجرُّ الى الشرِّ. فالحياء خير كله وإذا ضاع الحياء فقد آذنت الحياة الفاضلة بالضمور ولذلك قيل : إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

وقيل :

إذا قل ماء الوجه قلَّ حياؤه   ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه

وعلينا أن نعلم أن الخجل ليس هو انكماش الولد وانطواؤه، لأن الانكماش عن الناس والبعد عنهم وانطواء الانسان على نفسه، كل ذلك أمراض نفسية تصيب الشخص في مرحلة من مراحل حياته وعلينا نحن كمربين أن نوجه الأولاد الى أن الحياء هو التزام الآداب الاسلامية والتمسُّك بالقيم الأخلاقية وأن الانسان يستحي من ارتكاب المعاصي اقتراف المنكر وعليه أن يوقر الكبير، وأن يغضّ البصر عن المحرمات، أن ينزه لسانه عن الكذب. ولذا قال الرسول ﷺ : « إنّ لكل دين خلقاً وخلق الاسلام الحياء »[2].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه مالك.

وروي أيضاً : « اللهم لا يدركني زمان لا يُتبع فيه العليم ولا يُستحى من الحليم ».

ومن العادات التي فشت في المجتمع أن الأم تخوف وليدها بالاشباح او المخلوقات الغريبة وتسرد عليه القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت فينشأ الولد ولديه ظاهرة نفسية من الخوف عن الحدّ المعتاد، وذلك يسبب له قلقاً واضطراباً. وتلك مشكلة علينا أن نتداركها فبدل أن نخوف الطفل من أشياء لا وجود لها، علينا أن ننمي فيه قوة الشخصية والجرأة في الحق والإقدام. ويستدعي ذلك أن يصطحب الآباء أبناءهم لحضور المجالس العامة وزيارة الأصدقاء وتشجيع الأطفال على التحدث أمام الكبار بصراحة تامة في حدود الأدب والاحترام مع مراعاة شعور الآخرين وانزال الناس منازلهم .. وإلّا فإن الجرأة ستنقلب الى وقاحة .. والصراحة الى قلة أدب. وهذا ما لا يقرُّه دين ولا يرضى به عرف من الأعراف.

« إن الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة تفاجئه أو سقوط شيء بشكل مفاجئ أو ما شابه ذلك، يخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً. وأما الطفل في سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات وغير ذلك. والإناث أكثر إظهاراً للخوف من الذكور. كما تختلف شدة الخوف تبعاً لشدة تخيل الطفل. فكلما كان أكثر تخيلاً كان اكثر تخوفاً ».

المهم : أن الطفل يُعطى حرية التصرف وممارسة الأمور مع قدر نموه وتبعاً لمراحل تطور عمره. ويلاحظ عدم إخافة الولد لا سيما عند البكاء (بالغول والضبع والحرامي والعفريت) ليتحرر من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام لما رواه مسلم: « المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ».

إن الوراثة تلعب دوراً كبيراً عند الأطفال كما أن أحداً لا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في ازدياد الخوف أو الخجل عند الأطفال ويتطلَّب الأمر عند ذلك معالجة هذا الموضوع. أن نعوِّد الأولاد الاجتماع بالناس؛ وخير مكان يتدرَّبون فيه على ألفة الناس هو المسجد لأن الصلاة فرض على كل مسلم. وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نعلِّمها لأولادنا إذا بلغوا سبع سنين وأن نعوِّدَهم على أدائها بالمساجد وهذا التعويد يضعف في نفوسهم الشعور بالخوف وعدم الثقة بأنفسهم. ولعل فيما نرويه ما يدل على ذلك.

روى مسلم : أن رسول الله ﷺ أُتِي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ (أي مسنُّون) فقال الرسول ﷺ للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ فقال الغلام : لا والله لا أُوثر بنصيبي منك أحداً.

ويؤخذ من هذا الحديث أن الرسول ﷺ كان يبدأ من على يمينه وقد وجده غلاماً صغيراً ومن على يساره أشياخ، فاستأذن الغلامَ في أن يعطي مَنْ على يساره، لكنَّ الغلام تمسَّك بحقّه. وهذا من باب الحرص على الخير دون إهدار حق الآخرين.

كما روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرَّ في طريق من طرق المدينة وأطفال هناك يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير وهو طفل يلعب. فهرب الأطفال هيبة من عمر ووقف ابن الزبير ولم يهرب. فلما وصل اليه عمر قال له : لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان ؟ فقال على الفور : لست جانياً فأفرُّ منك، وليس الطريق ضيّقاً فأوسعه لك ... وهذا جواب جريء وشديد.

وجاء في كتب الأدب أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب. فقال له المأمون : ابن مَنْ أنت ؟ فقال له الصبي : ابن الأدب يا أمير المؤمنين. فقال المأمون : نعم النسب. ثم أنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب ادباً يغنيك محمودهُ فَضْلاً عن النسبِ.
إن الفتـى مَنْ يقـول ها أنـاذا ليس الفتى من يقول كان أبي

وفي يوم دخل عمرو بن العاص على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وبين يديه ابنته يداعبها ويلاعبها، فقال عمرو : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال معاوية : هذه تفاحة القلب، فقال عمر : انبذها عنك فوالله انهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن، فقال معاوية: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرَّض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهنَّ وربَّ ابن اخت نفع خاله ..

ذلك لأن البنت عماد البيت، تطهو الطعام وتغسل الثياب وترتب المتاع وتمرِّض المريض وتُعِينُ الضعيف، إنها تقرب النائي وتدني البعيد، وبما يكون بين الاسر من مصاهرة لها أثرها البعيد في تقوية الروابط وتوثيق عرى الألفة والمحبة والتآخي ومرد ذلك الى بناتنا رياحين القلوب.

روى الحميدي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة.

وروى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين (وضم أصبعيه).

كما أن المأمون دخل مرة بيت الديوان فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم، فقال له : من أنت ؟ قال الفتى : أنا الناشئ في دولتك المتقلب في نعمتك المؤمل لخدمتك. أنا الحسن بن رجاء. فعجب المأمون من حسن اجابته .. وقال : بالإحسان في البرية تفاضلت العقول. ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

ويؤخذ من هذا القصص أن الأدب والاحترام يسموان بالشخص ويرفعانه فوق قدره وتعلو منزلته في أعين الناس.

المروءة

المروءة شيء وسط بين نقيضين وهما : الانطواء .. والتبجُّح.

فاذا اتصف الانسان بالانطواء على نفسه فإنه يعزل نفسه فكرياً واجتماعياً عن المجتمع الذي يعيش فيه. وهذا شيء يضرُّ بالانسان صحياً ونفسياً وعقلياً. وأما التبجح فهو صفة ذميمة يكون صاحبها والمتخلِّق بها على جانب كبير من الوقاحة، فيجادل بغير حق ويدَّعي المعرفة وهو جاهل، ويزعم لنفسه العلم ببواطن الأمور وهو غير ذلك أصلاً. فتأتي المروءة وهي صفة حميدة يتَّصف بها الانسان لأنه بهذه الصفة يكون اجتماعياً يتفاعل مع المجتمع يسهم في الايجابيات ويعالج السلبيات بروح المثابرة والصبر والتأني والرفق والشجاعة واختيار الكلمة بحيث لا يجرح شعور غيره. والمروءة تدفعه دائماً الى أن يبذل جهده وماله لعون الآخرين وخدمة المحتاجين حتى ولو قصد في جانب نفسه لأن المروءة هي الايثار والتضحية والنبل والاحترام، كل ذلك في روية وتأنٍّ. من أجل هذا كان على الابوين أن يغرسا في نفس أولادهما هذه الصفة الحميدة وعندها يعوِّدان الولد على البذل. يكونان أمام ولدهما قدوة لأن القدوة لها تأثير كبير في نفس الولد كذلك يعلمانه الشجاعة في غير تهور ولا استهتار بالقيم.

كذلك يعلِّمانه أن يقول الحق ولو كان مرّاً، وأن يكون وفيّاً بالوعد لا يكثر من الكلام الا اذا عرف أنه يزن كلامه ويحدِّد هدفه من الكلام.

ولعلنا نذكر أن شخصاً رأى أن كثيراً من الناس أُصيبوا إما بالانطواء وإما بالتهور والاندفاع. لذلك تصوَّر في خياله أن المروءة تكلمه ويكلمها فوقف يناجيها ويقول متمثلاً ذلك في قوله :

وقفت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحبُ الفتاةُ
فقالت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلقِ الله ماتوا

فلقد تخيَّل الرجل أن المروءة ماتت لأنه لم يجد من أصحابها مَنْ يقابله ويساعدهُ ويسانده. وهذا الأمر خطير لأن الاسلام وهو الدين الخاتم علَّمنا أن نتحلَّى بهذه الصفة فقال في محكم التنزيل : ﴿ **ويؤثرون على أنفُسِهِم ولو كان بهم خصاصةٌ** ﴾[1] ويقول: ﴿ **ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً إنك لن تخرق الأرضَ ولن تبلغَ الجبال طولاً** ﴾[2]. ويقول : ﴿ **وعِبادُ الرحمنِ الذين يَمشونَ على الأرض هَوناً وإذا خاطبهم الجاهلونَ قالوا سلاما** ﴾[3].

تلك مفاهيم الاسلام وجدير بكل أب إن اراد أن يسعد بأولاده أن يعلمهم المروءة وأن يبين لهم أنها أساس قوي في سعادة الانسان وسعادة المجتمع ..

---

(١) سورة الحشر الآية ٩.
(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.
(٣) سورة الفرقان الآية ٦٣.

وسائل الإعلام

نقرأ في وسائل الاعلام في هذه الأيام أن ولداً قتل أباه، وأن أمّاً قتلت ولدها، وأن زوجة قتلت زوجها، وأن زوجاً قتل زوجته. وهكذا تتعدَّد الحوادث وتكثر وتشكِّل ظاهرة اجتماعية خطيرة لم تكن في حسبان أحد من العقلاء ولا قادة الفكر ولا المصلحين الاجتماعيين.

لذلك وقف علماء النفس امام هذه الظاهرة يتساءلون : ما سبب ذلك ؟ وكيف وصل الأمر الى ما هو عليه ؟

والاجابة سهلة هي أن خللاً حدث في الأسرة، وشرخاً أصاب أفراد تلك الأسرة أفقدهم صوابهم وقدرتهم على التفكير ...

ولكن .. من أين أتى هذا الشرح وما سبب هذا الخلل ؟

السبب في كل ذلك أن تكوين الأسرة تَمَّ بغير تجانس ولا تلاؤم ولا تكافؤ نتيجة شيء في نفس أحد الزوجين كالطمع والجشع، او الاستهتار، أو التهتُّك ... وخروج على العرف الجاري في المجتمع الاسلامي على النحو الذي قدمنا ... وتقاليد البيئة.

لكل هذه العوامل اصاب الاسرة ما اصابها.

الزوج كوَّن أسرة وجاء بزوجته الى بيته، لكنه أهملها وجرى وراء المال يجمعه من هنا وهناك وأصبح المال تحت يديه بالآلاف ومع ذلك

فهو البخيل المقتر على اولاده .. الزوجة هي الاخرى لها تطلعات وتريد أن تشتري حاجيات تكمل بذلك مظهرها وتلفت الأنظار اليها. وهي ليست بمتزوجة، لأن زوجها الذي هي في عصمته غاب عن الديار والبلاد وبالتالي فإنّ الألسنة تلوكها وتتحدث عنها عند خروجها من بيتها ورجوعها اليه وذئاب البشر يحومون حول بيتها يحاول كل ذئب أن يحظى بصيد ثمين، فيصبُّون في أذنها كلام السم المدهون بالعسل، ويزينون لها طريق الغواية ويحاولون إشباع رغبتها بما يلوحون به من أموالهم ومناصبهم. وهكذا تحاك حولها المؤامرات وتسد نوافذ الطرق فتضعف وتنهار وتستسلم لكل طامع وراغب. وهنا تكون الطامة الكبرى فاذا ما كشف أحد اولادها جريمتها فإنها تفقد صوابها ويطيش لبُّها وتفعل ما بدا لها وما يملي عليها ممن حولها الذين نصبوا لها الشراك.

وفي الجانب الثاني قد يكون الزوج يبحث عن مال فيتصيده احد الذين يتاجرون في المحرمات ويحاولون إشباع طموحه وملء جيوبه بالمال. وهنا ينزلق وتكون الطامة الكبرى فتراه زوجته أو يراه أولاده فيحاول التخلُّص منهم. وهكذا يكون انهيار الأسرة عبارة عن انحراف في السلوك والمحاولة لجَمْع مال أو الوصول الى منصب أو التقرب من شخصية كبيرة.

الاسلام دين وسط يقول للشخص كوِّنْ أسرتك واعتمد على الله ولا تخف من الفقر، لأنك الغني يشرط ان تعمل وتعمل وتبذل جهدك في تجويد صنعتك واتقان حرفتك وبَذْل كل ما في طاقتك لزيادة انتاج دخلك من مصدر مشروع حلال، مع المحافظة على أسرتك، ورعاية أولادك وتعليمهم الصلاة مع الصبر وضبط الأعصاب. يقول الله تعالى في بيان هذا: ﴿ **وأمُر أَهلَكَ بالصلاةِ واصْطبِر عليها لا نسألكَ رزقاً نحن نرزُقُكَ والعاقبةُ لِلتَّقوى** ﴾[1].

(١) سورة طه الآية ١٣٢.

ان وسائل الاعلام التي تقوم بتشخيص الجريمة مع شرح مفصل للطريقة التي تمت بها فإن ذلك قد يكون له دخل في تفتيت الأسرة وهدم كيانها.

والذي نراه أن وسائل الاعلام تلعب دوراً خطيراً في تماسك الأسرة أو تمزيقها ... فإن كان كيان الاسرة سليماً ومعدن أفرادها طيباً وكل فرد يؤدي واجبه بأمانة وذمة وعمل في سبيل الحفاظ على كيان تلك الأسرة، فإن ما يقال في وسائل الاعلام لا يؤثر فيها ولا يهز كيانها ولا يمزق ترابطها ولا يفرِّق بين أفرادها وتعيش في سعادة نابعة من قوة عزيمة أفرادها.

أما إذا كانت الأسرة غير مترابطة وليس بين أفرادها تجانس ولا تلاؤُم وعامل الثقة غائب عن كيان الاسرة، فإن ما يقال في وسائل الاعلام يؤثر عليها ويفرقها ويجعل كل فرد فيها يفكر فيما يريد وما يحلو له مما قيل في وسائل الاعلام يتخيله ويعيش في وجدانه ويعشش في رأسه. فقد يغيب عن الوعي وهو بهذه الصورة ويقدم على أسرته فيمزقها ويهدر كيانها.

إن على وسائل الاعلام أن تراعي ظروف المجتمع والتكوين الأسري في مجتمعنا والمناخ العام للفكر الذي ورثناه والتخلّف الاجتماعي الذي ران على الأمة خلال مئات السنين. وما زلنا حتى يومنا هذا رغم التقدم العلمي والتطور الفكري وصعود بعض المجتمعات الى القمر وغزو الفضاء وحرب الكواكب، رغم كل ذلك فإننا ما زلنا نختلف من أجل ساعة اليد هل تلبس في اليمين أم الشمال، والزي هل يكون بالبنطلون أو السروال.

وهذه أمور تمزق الأمة وتصرفها عما هي قادمة عليه من عمل يكون من ورائه الاكتفاء الذاتي فيما نبتغيه من طعام وشراب.

ألا ليت الذين يُشرفون على وسائل الاعلام ويخططون لها يدركون ويعرفون أن أكثر من خمسين في المائة هم في سن الشباب وأحلام

الطفولة وخيالات المستقبل تتراءى في أذهانهم وتمنيات المراهقة تظهر في أعينهم، وتكاد تنطق بذلك ألسنتهم. وهم في حاجة الى تمثيلية مهذبة أو مسرحية مفيدة أو فيلم يعاجل قضية من قضايا البيئة أو يستمعون إلى أغنية تنمي عواطفهم الطيبة وهم عندما يشاهدون أو يسمعون أو يقرأون فإنهم يبغون محصلة علمية وفائدة أخلاقية وقيمة أدبية ودرساً يؤصل عفة في النفس وأدباً في السلوك والتزاماً بقيم المجتمع وأصالته، لكن ... ماذا نقول والشكوى لأهل البصيرة عيب. إن ما نشاهده أو نسمعه أو نقرأه، كلها أشياء تلهب العواطف وتؤجج الخيال لدى الشباب وتهدم ما يبنيه المسجد أو المدرسة من قيم.

لذلك وجب على المسئولين عن وسائل الاعلام أن يتبيَّنوا هذه الحقيقة ويدركوا أن التخلُّف الذي تعانيه الدول النامية في حاجة الى توجيه وتبصير وإرشاد ليتحقَّق الغد الأفضل للأمة العظيمة التي نأمل قيامها على أرض منطقتنا العربية، ولن يتحقق ذلك إلا بقيام أسرة متماسكة قواها : (أبٌ) يعرف ما له وما عليه من خلال التوجيه والارشاد والنصح والتبصير، و (أمٌّ) تعرف واجبها نحو أسرتها لأنها ملكة غير متوَّجة على عرش هذه الأسرة التي يجب على وسائل الاعلام أن ترعى حرمتها وأن تعاون الأب والام في الحفاظ على تكوينها وتهيئة المناخ العام لحياة أفضل ومجتمع أسعد من خلال الأسرة المترابطة المتماسكة فيكون هذا التوجيه الاعلامي ثمرة سعادة هذه الأسرة واستقرارها.

العبادات وأثرها في السلوك

إن الانسانية تعيش اليوم في مرحلة من أدق مراحلها الاجتماعية نظراً للتطوُّر الهائل الذي حدث في أجهزة الاتصال التي طوت المسافات، وأزالت الحواجز، ومحت الحدود، وجعلت العالم أجمع يعيش وكأنه في حجرة واحدة.

ومن خلال ذلك سيطر الاعلام على عقلية الجماهير وروحها. وأثر في ميولها واتجاهاتها ... وانعكس على النمط الاخلاقي في المجتمعات كلها. وتغيَّرت بعض العادات والأعراف بين الناس.

ولما كانت الأديان السماوية قد جاءت أساساً لإسعاد الانسان بما فيها من قيم وعادات، وما لها من وسائل اعلامية خاصة بها، فإن حَمَلَةَ هَدْيِهَا وهم رسل الله يبشرون بها، ويفرغون جهدهم لتوصيل معلوماتها الى الجماهير الذين يحرصون على هَدْيهم، لأنهم بناة الحضارة وحماة قيمها الأخلاقية. وهم الدعائم الذين يحرثون الأرض، ويستخرجون الزرع ويقدمون الغذاء للبشرية لتستمر في حياتها الى ما شاء الله. والدعاة في دعوتهم إنما يعتمدون أولاً على الكتب السماوية الأصيلة وما استنبطه العلماء من هدي أنبيائهم وسيرة اسلافهم، وقادة الفكر الاصلاحي في المجتمعات التي يعيشون فيها ويرجون السعادة لأبنائها. ومن المعلوم أن وسائل الاعلام تنقسم الى قسمين :

أ ـــ إعلام مباشر : يتلخص في توجيه خطاب مباشر بين شخص وشخص أو شخص وآخرين. ويتمثل ذلك في الوعظ والارشاد، والندوات، والمدارس، والجامعات. وهو ما يسمى باللقاء المباشر.

ب ـــ وإعلام غير مباشر: كالإذاعة والتلفزيون والسينما والفيديو. وازاء هذا كان على قادة الرأي والتوجيه والاصلاح، أن ينتبهوا الى خطورة هذه الوسائل والى ما لها من دور هام يجب أن يقابله حركة نشطة تؤصل القيم الاخلاقية في النفوس، وتدعم المبادئ الفاضلة، وتقوي عزائم الشباب كي يتمسكوا بالآداب العامة التي هي سبب سعادتهم وأساس نجاحهم وفلاحهم.

والدين الاسلامي دين غني بالمثل العليا والقيم الفاضلة، والاخلاق النبيلة، والعادات الحسنة، ويحرص أشد الحرص على الانسان الذي هو اللبنة الاولى في كيان المجتمع. فيقيم التوازن بين متطلبات روحه، ومطالب جسده. كما أنه يفسح في المجال أمام فعل الحلال لإشباع رغبات الجسد ويلبي احتياجات البدن. بل وأكثر من هذا فإنه يثبت عليها. ومع ذلك فهو يواكب التطور الاجتماعي وينميه. ويعيش في حضارة يبتكرها الانسان من نتاج عقله. ولعل أبرز آية تشير الى ذلك هي قول الحق سبحانه ﴿ **وابتغِ فيما آتاك الله الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا، وأحسِنْ كما أحسَنَ الله إليك ولا تبغ الفسادَ في الأرض** ﴾[1] كما جاء في الأثر : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ».

من أجل ذلك، شرع الاسلام العبادات التي هي ميزان الاعتدال في النمط الاخلاقي الذي يجب أن يتّسم به الفرد المسلم. وأهم العبادات :

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧.

١ ـــ الصلاة

وهي الفريضة التي شرعها الحق سبحانه وتعالى لعباده. وهي لون من التربية النفسية والجسدية والروحية. فما عرفت البشرية من قواعد وأصول للتربية أفضل منها. لأن الانسان يدخل اليها طاهر الحس والبدن، طاهر الثوب والمكان. وأنعم بذلك من عمل يؤهل الانسان لتلك الفريضة التي يدخل اليها فيطرح الدنيا وراء ظهره للحظات، ويناجي ربه، ويدعوه ويشكره لأنه الذي خلقه من العدم وأنعم عليه بالوجود وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

فالصلاة مع كونها لله شكر وحمد هي تدريب على سلوك اجتماعي وتأصيل لقِيَمٍ أهمها الصدق مع النفس ومع الله ومع الناس، والأمانة والمروءة والحياء. كل ذلك يتاصل في ضمير الانسان ووجدانه من أداء الصلاة التي يقرأ فيها القرآن ويخرُّ لله ساجداً. فيتعلّم التواضع ولين الكلام. ثم يتشهَّد ويسلم على عباد الله الصالحين فيتعلّم الوجه وطهارة اللسان. وهكذا الصلاة تملأ قلب الانسان بالانوار، كما أنها تغرس في نفس الانسان قيمة النظام، لأن أفعالها بالترتيب كما يتعلم العمل الاجتماعي عندما يصلي جماعة فإنه لا يخرج على القائد الذي يتمثّل في شخص الإمام. ويتعلم الأدب فلا يسبقه بقول أو فعل.

وهكذا يؤدي الانسان الصلاة فيتعلّم منها الآداب الاسلامية والقيم الاجتماعية والسلوكية. فيمضي في المجتمع ويتحرك في جنباته وهو موصول القلب بالله مضيء الجبين من أثر السجود له. فإن كان تاجراً لا يغشّ، صانعاً لا يهمل، موظفاً لا يتهرّب من أداء الواجب عليه، طالبا لا يتكاسل في المذاكرة وتحصيل العلم. لأن نداء السماء في أذنيه ﴿ **وقلْ رب زدني علما** ﴾[1] ويجمع ذلك كله قول الحق سبحانه ﴿ **إن الصلاة**

(١) سورة طه الآية ١١٤.

تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

وعندما تتأصل هذه القيم في نفوس الشباب من أثر الصلاة فإنهم يعيشون حياة الاستقامة والعفة والنزاهة فلا يؤثر فيهم الاعلام الذي يهدف الى تحطيم القيم وجذبهم الى دائرة الفوضى والتطرف والعزلة عن المجتمع.

لذلك حرص نبي الاسلام على أنْ نعلم أولادنا الصلاة من سن السابعة من عمرهم. ونضربهم على تركها في سن العاشرة منه. لأن الصلاة تقوِّم الشخصية وتحصِّن المرء من نزعات الشر ومن هتاف النفس الامارة بالسوء، لأن الشيطان ليس له سبيل على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون وعلى الصلاة يحافظون، لأن فلاحهم أمر حتمي ونجاحهم أكيد وفوزهم لا ريب فيه أكدته السماء عندما قال سبحانه: ﴿ **قد أفلَحَ المؤمنون ۞ الذينَ هم في صَلاتِهِم خَاشِعُونَ** ﴾[2].

٢ ــ الصوم

يهدف الاسلام في كل تعاليمه الى تكوين الشخصية القوية التي تحيا في دنيا الناس تعمل بجد واجتهاد تبتكر في وسائل انتاجها. وتسعى في جنبات أرض الله بروح قوية يدفعها الأمل. وبنية سليمة تنويها قوة الإرادة وصلابة العزيمة. ويسعى الانسان يحطم المستحيل. لأن غايته إرضاء الحق. وتحقيق الرفاهية لمجتمعه فلا يتسرّب اليأس الى نفسه إن سقط في دنياه مرة أو عثرت خطاه. فهو يتطلع الى السماء يناجي ربه أن يأخذ بيده وأن يكون عونه على تحقيق معاليه. لأنه يؤمن بقول الحق : ﴿ **الله وليُّ الذين آمنوا** ﴾[3] وبصدق يقول نبي الاسلام « المؤمن القوي خير وأحبّ

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥.
(٢) سورة المؤمنون الآيتان ١ و ٢.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

الى الله من المؤمن الضعيف » والصلاة التي يؤديها الانسان تعلمه الصبر وعدم الجزع. لأن المؤمن يحيا في ضوء قول الحق ﴿ **ان الانسـانَ خُلِقَ هَلُوعاً * اذا مسَّهُ الشر جَزوعا * واذا مسَّهُ الخيرُ منوعاً * الا المصلِّين * الذين هُم على صلاتهم دَائمونَ** ﴾[1].

وتتمة للصلاة يأتي الصيام. ودوره معلوم في تهذيب النفس، وتقوية الروح، وتربية الارادة القوية، وتخليص الجسم من الفضلات الضارة المختزنة فيه طول العام وترقيق الوجدان. والصوم وإن كان في ظاهره امتناعاً عن الطعام والشراب، إلا أنه تحصين للانسان من غوائل الهوى، وسيطرة الجشع، وموت الضمير، وفَقْد الاحساس. فهو بفضائله وآدابه يعلِّم الانسان ضَبْط النفس. ومن نفسه يحرس القيم الاصيلة في نفسه، فيقوي ضميره. ويشتدُّ عزمه فلا يضعف أمام شهوة، ولا يلين لنزوة، ولا يطمع في مال غيره فيحرس الحق، ويحمي الفضيلة، وينصهر مع المجتمع في بوتقة الحب والإخاء والتعاطف. فيصل أقاربه، ويعطف على جيرانه، ويرحم اليتيم، ويوسع دائرة معارفه ويتخذهم أصدقاء خير، وأخلاء صدق وينهض في المجتمع بأداء واجبه لأنه يؤمن بقول الحق ﴿ **وتَعَاونوا على البر والتقوى ولا تَعَاونوا على الإثـم والعـدوان** ﴾[2] ويقـول الرسول ﷺ : الصيام جنُة ـــ أي وقاية من الانحراف الى الخطأ والارتماء في أحضان الرذيلة فالصوم وقاية وتحصين للانسان لأنـه يقـوِّي الارادة والعزيمة.

ولعل أعظم ما عرفت الانسانية من كبحٍ لجموح الشهوة في نفوس الشباب هو الصوم. عندما يلتزمون به. ويتخذونه أسلوب تربية عملية لانفسهم. فلقد أخبر بذلك الصادق الأمين ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى حيث

---

(١) سورة المعارج الآيات ١٩ ـــ ٢٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّجْ؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحسن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » فالصوم عصمة وتنمية للضمير الذي هو الحارس الأمين على الانسان.

وليس الصوم مدعاة للكسل كما يزعم البعض. ولكن الصيام هو تقوية للبدن وحفز للهمم الى ان تنهض بالواجب عليها.

فما عرف تاريخ المسلمين شهراً تحقق فيه النصر كما تحقَّق في رمضان : والانتصارات لا تأتي الا بعد تعب، وكد وإرهاق، ويقظة وترقُّب ... كما أن المعلّم ليس بكسول لأنه ينهض للصلاة خمس مرات تتخلَّل اليوم والليلة، فيقوم اليها بهمة ونشاط. وانما المنافقون هم الذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى.

ولقد شهد تاريخ المسلمين الأوائل أنهم كانوا يصومون أشدَّ الأيام حرارة وكانوا لا يتكاسلون في أعمالهم بل كانوا يدربون أطفالهم على الصيام. وإذا بكى الطفل قدموا له اللعبة من العهن كما تقول الربيع بنت معوذ رضي الله عنها. وهكذا العبادات تنمي في الانسان الفضائل وتجعله يقيم من نفسه حارساً عليها وخاصة اذا غرسناها في وجدان الطفل ونميناها في الشباب. واذا كان ما قدمناه لونَيْن فقط من ألوان العبادات فإن لكل عبادة أثرها الملموس في تربية الشباب، بها تكتمل شخصية الانسان فيكون سوياً في حياته، معتدلاً في تفكيره، وسطاً في تصرفاته. فيحيا معتدلاً في سلوكه لا تفريط ولا إفراط. وإنما شعاره ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ويَنْهى عن الفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لعلكُم تَذَكَّرونَ** ﴾[1].

(١) سورة النحل الآية ٩٠.

عود على بدء

إن الأسرة هي الخلية الأولى في كيان المجتمع تنبض بالحياة وتؤتي أكلها كل حين بأذن ربها وتفرز أفضل العناصر وأكرم الشخصيات إذا كانت هذه الأسرة متماسكة متآلفة متجانسة. الجو العام مهيَّأ أمامها لتؤدي رسالتها على أكمل وجه اذا ما التزمت بما قدمناه من وجود عناصر الترابط بين الزوجين وأهم هذه العناصر :

١ ــ الكفاءة عند اختيار شريكة الحياة.
٢ ــ القدرة على أداء الواجبات.
٣ ــ اختيار أفضل العناصر من أكرم البيوت.
٤ ــ الرعاية المتكاملة لكل مناحي الأسرة.
٥ ــ رعاية الأولاد اجتماعياً وتوجيههم دينياً وتأليفهم على العادات الطيبة وتعويدهم على السلوك الحسن.

إن أفراد المجتمع عندما يكونون بهذه الصورة، فإن المجتمع، يجني من هذا الواقع خيراً كثيراً ويزداد دائماً قوة، ويكثر خيرهُ وتزدهر جنباته بتلك الشخصيات التي تسهم في رقي المجتمع وتقدمه.

أما إذا حدثت خلخلة في كيان الأسرة بأن كان الزواج بين طرفي الأسرة الزوج والزوجة تمَّ على غير وفاق وليس بينهما تكافؤ، ولم يشعر أحدهما بالمسئولية، وكل واحد كان في طريق يغاير الطريق الذي يمشي

فيه الآخر وهما لا يلتقيان، وإن تلاقيا فبالصياح والنُّواح والاستهتار بكل القيم التي يفرضها الدين وتحتمها تقاليد المجتمع واعراف البيئة. ثم ليست هناك رعاية للاطفال بل هم يشكلون حجر عثرة في طريق كل واحد من الأبوين فيحاول إزاحتهم عن طريقه. وكل واحد من الزوجين يأتي الى البيت متعباً مكدوداً مهموماً لا يحتمل كلمة من طفل، ولا يهش للقاء صغير، ولا يدلي بنصيحة لكبير، ولا يسأل عن غياب البنت خارج البيت لوقت متأخر من الليل، كما أنه لا يتعرف على أحوال أولاده في المدارس.

فماذا تكون النتيجة ؟

إن الأولاد يشعرون بعدم الرقابة عليهم فينصرفون الى ما يمليه عليهم خيالهم وهم في سني الطيش ومراحل المراهقة وقد يصادفهم من يفرش الأرض أمامهم بالورود ويرسم لهم صورة لمستقبل أسعد، وحياة أرغد، بينما هو ذئب يريد نهش لحم الآخرين. وتقع الفريسة بين يديه وهو لا يرحم، والأب لا يسأل والأم لا تتعرَّف على أحوال بناتها وأولادها. وهنا تكون الطامة الكبرى والخسارة العظمى لضياع فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد. وعندئذ يتحسر الأب ولكن بعد فوات الأوان، وتندم الأم ولات حين مندم. لقد وقعت الطامة وانحرف الاولاد وفسدت البنات.

وهكذا تكون النتيجة: إن المجتمع هو الذي يجني ثمرة هذه الجريمة لأن الأولاد المشردين في الشوارع بطونهم جائعة وأجسامهم عارية وفكرهم غير مستقر وأعينهم زائغة، يتلقفهم كل مجرم أثيم ويدفع بهم الى ارتكاب السرقات والسطو على البيوت وجذب السلاسل الذهبية من صدور السيدات، والسرقة بأي وسيلة ليشبع هذا المجرم الذي يجعل مصيرهم في آخر النهار علقة بعصا ونومة على الرصيف أو حول أكوام الزبالة ليلتقطوا لأنفسهم بقايا طعام. والمجتمع ينتابه صداع وصداع لما يحدث من هؤلاء الذين أضاعهم الزمن حيث كتب على جبينهم : « هذا

ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد »، لأنهم يشعرون أنهم بفعلهم هذا لا يرتكبون أي جناية وإنما يأخذون من المجتمع أمنه لأنه سلبهُ منهم حيث انصرف الأب واستهترت الأم ولم يكن هناك من رقيب ولا موجه لهؤلاء.

لقد آن الأوان لكي نعلم أن صلاح الأسرة لا يكون الا بمعرفة هدى الاسلام في تربية الابناء ورعاية حقوقهم وتدبير أمرهم وتهيئة المناخ الصالح لهم. إن الولد الذي يضرب أمه أو يعتدي على أبيه إنما يفعل ذلك وهو يشعر أنه لم يرتكب إثماً ولم يقع في خطأ لأن أباه سقاه من نفس الكأس المريرة التي يتجرعها.

لذلك فنحن نقول: رفقاً أيها الآباء، رفقاً بأبنائكم لأنهم فلذات أكبادكم. ونذكر هنا هذه القصة التي وقعت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جاءه رجل يشكو اليه من أن ولده يضربه ويقسو عليه جداً فأرسل عمر بن الخطاب الى الولد فجاء اليه فقال له : يا ولدي، لِمَ تضرب اباك ؟ فقال الولد : أهو يقول هذا ؟ قال عمر :نعم. قال الولد : ما السبب في أنني أضربه ؟ قال عمر : لأنك ولد عاق وقد أمرك الله أن تحسن الى أبيك فلم تحسن وقابلت معروفه باساءتك .. والحق سبحانه وتعالى أوصى الأبناء بالآباء حيث قال سبحانه : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيَّاه وبالوالدَيْن احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جَناح الذلِّ من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾[1].

قال الولد : يا أمير المؤمنين، ان الحق سبحانه الذي أوصى الأبناء بالآباء ألم تكن له سبحانه وصية للآباء بالابناء ؟

قال عمر : نعم. لقد وصى الاسلام الأب قبل أن يوصي الابن في

---

(١) سورة الاسراء الآيتان ٢٢ و ٢٣.

ثلاث : حيث امر الاسلام الأب أن يتخير زوجته، وان يحسن اختيار اسم ولده، وان يعلمه القراءة والكتابة.

قال الابن : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك حيث تزوج أمي وكانت تلتقط البعر بالمدينة ولا أهل لها هناك، وعندما ولدت سماني جعدان (حشرة صغيرة) ولم يعلمني القراءة ولا الكتابة. فنظر عمر الى الرجل وقال له: يا هذا، لقد عققت ولدك قبل أن يعقك.

ومن هذه القصة تبيَّن لنا أن اختيار الزوجة عامل مهم، وأن التكافؤ في الزواج أمر ضروري، وأن على وسائل الاعلام أن تعطي جرعات تعليمية تثقيفية للرجل والمرأة مبينة الحقوق والواجبات التي يجب على كل فرد أن يطالب بها لنفسه وأن يدفع بها الى غيره.

إن المجتمعات الآن اتسعت وانشغل الناس بمطالب الحياة، وأصبحت هناك ضغوط نفسية نتيجة ظروف اجتماعية وعوامل اقتصادية، وأصبح من المسلم به ايجاد نوع من الترفيه يخفف ثقل التبعات الملقاة على كاهل الانسان.

ولكن بجوار هذا لا بد أن تكون هناك البرامج الدينية التي تعطي نماذج طيبة من العناصر الصالحة التي أسهمت في المجتمع بفكرها وعملها وإسعاد غيرها ونشر ألوية الخير هنا وهناك. وبجوار ذلك لا بد أن تكون هناك جرعة ثقافية تثقف العقل لدى مَنْ لا يستطيع القراءة ولا الكتابة، وتضرب بسهم وافر في محو أمية الجهل التي رانت على عقول الكثير منهم، كما يتحتم أن تكون هناك برامج اجتماعية لها هدف ومضمون يؤصل القيم الاجتماعية ويؤكد على العلاقة بين الزوج وزوجته وبين والاولاد والأسرة والمجتمع مع اعطاء ما يجب للجار من حقوق وللمجتمع من واجبات.

إننا في حاجة الى أم مثقفة لأنها هي التي تربي الوليد وهي الأستاذة

الأولى يتخرَّج على يديها الولدُ بطلاً شجاعاً، أو جباناً خوافاً، أو لصاً محتالاً، أو مختلساً لحقوق الآخرين. الام هي القدوة التي يتعلم منها الوليد صدق الحديث، وأمانة الكلمة، وحسن التوجيه، وتأصيل القيم الاخلاقية، وتجسيد ذلك الى واقع في دنيا الناس. من أجل ذلك نذكر تلك القصة اللطيفة وخلاصتها أن ولداً سرق وقتل فحكم عليه بالاعدام وسألوه : الك حاجة قبل تنفيذ حكم الاعدام ؟ قال نعم أريد ان ارى أمي. فلما جاءت الأم قال لها : أريد أن أقبلك. فلما أقبلت عليه، قال أريد أن أقبلك من لسانك. واحتضنت الأم وليدها الذي سيعدم بعد لحظات وأسلمت نفسها له وأخرجت لسانها يقبلها فيه، لكن الولد امسك اللسان بأسنانه وقضمه بشدة حتى قطعه وصرخت الأم ولم تستطع الكلام لأن لسانها قطع. وأعيدت محاكمة الولد لقطعه لسان أمه الذي ترافع عن نفسه أمام القضاء قائلاً إذا كنتم ستعدمونني فابدءوا بأمي قبلي لأنها هي السبب في أني جئت الى هنا، وحكم علي. ولقد قطعت لسانها حتى لا تزج بأخي الصغير الى مثل ما زجّت بي فيه، وكان هذا مصيري. فقال القاضي : وماذا فعلت فيك أمك أيها الولد. قال الفتى : لقد دفعت بي الى سرقة بيضة من فراخ الجيران وكانت تضحك لذلك وتفرح. فلما تقدم سني، شجّعتني على سرقة الفراخ. فلما تقدم سني شجعتني على سرقة الماعز والخراف. فلما تقدم سني شجّعتني على سرقة الحمير والجاموس. وغرست فيّ ذلك واصبحتُ لا يشقُّ لي غبار في اللصوصية والاجرام. وكانت تشجعني وتفرح بي الى أن سرقت جملاً فاعترضني صاحبه فقتلته فجيء بي اليكم فحكمتم علي بالاعدام ففعلت معها ما ترون حتى لا يكون مصير أخي هو ما صرت أنا إليه.

وهنا تغير الموقف ونظر القاضي الى المرأة وقال : أنت أحق بالاعدام. أما هذا فهو ضحية لجهلك فحكمنا ببراءته. ودفع به الى عالم الحرية وحكم على الام بالاعدام.

إننا بإزاء كل هذه الاحداث يجب علينا أن نقف وقفة نعيد فيها ترتيب أمورنا ونبدأ بالبيت أولاً، لأنه هو اللبنة الأولى في كيان المجتمع وبنيانه. وكلما كان البيت مؤسساً على دعائم من الصلاح والاخلاص والرعاية والتفاهم كلما كان البيت من أسعد البيوت والأسرة من أهنأ الأسر. وكل ذلك يؤدي الى خير المجتمع ورفاهيته.

إن الفتيان الذين يتسوّلون أو يقومون بأعمال تتنافى مع قيم الدين وتقاليد المجتمع، كل هؤلاء ضحايا الآباء الذين يخلَوْن من الضمير والعقل والفهم. والأمهات هنّ أجهل من الآباء لأنهن كان عليهن ان يلتصقن بأبنائهن لأنهنّ هنّ اللواتي حمَلْن وتعِبْنَ وأرضَعْنَ وقاسَيْنَ وسهِرْنَ الليالي. فالولد قطعة من الأم، فكان أولى برعايتها، لأنها به ألصقُ وعليه أحَنُّ. ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام للسائل : من أحق الناس بحسن صحبتي. قال أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك.

واذا كان، لا قدر الله، قد حدث شقاق وخلاف ولم يستطع جمع شمل الاسرة فإننا نقول للابوين : الأولى بكما أن يكون عندكما شعور بالمسئولية نحو أولادكما وعلى كل واحد أن يتحمل حتى لا يكون الاولاد هم الضحية.

ومسئولية ذلك عليكما ... مسئولية دينية .. سوف تحاسبون عليها أمام الله لإهمالكما في رعاية الأبناء ... لأن الرجل في بيته راع وهو مسئول عن رعيته والأم راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها.

ومسئولية اجتماعية لأن الوطن كلما تأخر فباهمال أبنائه وتفكك أسرة، واذا تقدم المجتمع فبعمل أبنائه وترابط الاسر. لأنه كما قيل الأسرة هي النافذة التي يطل منها الطفل على العالم. كما أن البيت المحطم لا يأتي بطفل سليم.

إذن أيها الآباء رفقاً بالأبناء وكل واحد عليه أن يشعر بالمسئولية اتي تبدأ عند اختيار أي من الزوجين للآخر ولنبدأ في تحديد الهدف ولنهتف من أعماق قلوبنا.

﴿ ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرَّة أعينٍ واجعَلْنا للمتَّقين إماماً ﴾[1].

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

(١) سورة الفرقان الآية ٧٤.

الزواج فطرة انسانية

خلق الله الانسان وأودع فيه عدة ميول وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه وبقاء نوعه، والإنسان بطبعه يميل الى اشباع تلك الغرائز لأنها من أقوى الدوافع عنده، وأعقدها، نظراً لتداخل عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية، خاصة ما يؤثر في الشعور من اتصالات وعواطف وذكريات وخيالات في ذهن الإنسان .. لذلك شرع الإسلام الزواج تلبية لإشباع تلك الغرائز، في الإنسان ليسير مع فطرته وميله الى الجنس الآخر بكل تلائم وتجاوب. دون أن تعترضه عقبة أو ينزلق في منحدر الحياة. وحتى يكون هناك بقاء لنسله وامتداد لنوعه.

ورسالات السماء نظمت العلاقة بين الذكر والأنثى في الجنس البشري وحددت لذلك مساراً سار عليه اتباع الأنبياء والمصلحون في كل زمان ومكان .. وأنبياء الله كانوا قدوة للبشرية في الزواج وإنجاب الأولاد. قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجَعَلْنَا لهم أزواجاً وذرية** ﴾[1].

وجاء الإسلام الحنيف وهو خاتم الأديان السماوية. وأعلن الحرب على الرهبانية. وهي عبادة ابتدعها قوم من أتباع الرسل السابقين. لم تكن معروفة عند أنبيائهم ولم يقرها أحد من المصلحين ... قال تعالى : ﴿ **ثم**

(١) سورة الرعد الآية ٣٨.

قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْهَا حقَّ رعايتها فآتينَا الذين آمنُوا منهم أجرَهُم وكثير منهم فاسقون ﴾(١).

وقد أقام الاسلام نظرته هذه على إدراك فطرة الانسان وتلبية اشواقه وميوله. وقد حاربت الشريعة الإسلامية الرهبانية لكونها تتصادم مع فطرة الانسان. فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن الله أبْدَلَنَا بالرهبانية الحنيفية السمحاء وأيضاً « من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني » ..

فشريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج. لأنه بذلك ربما قد يسلك سبيلاً منحرفاً، ويتجاوز حدود فطرته، ولا يسير على مقتضى المنهج القويم ولقد كان رسول الله ﷺ يراقب أفراد المجتمع، ويعالج النفوس المريضة حتى لا يتعثر إنسان في خطاه، ويضعف أمام المغريات، وينزلق في تيار الشهوات. لذلك روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي ﷺ يسألون عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها « أي وجدوها » قليلة فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً .. وقال آخر أنا اصوم الدهر ولا أفطر .. وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .. فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر. وأصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ».

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٧.

ومع هذا الجانب الديني الذي اشار اليه الرسول ﷺ فان الزواج فيه فوائد عامة ومصالح اجتماعية أهمها ما يأتي:

١ ـ المحافظة على النوع الانساني .. فبالزواج يستمر بقاء النسل البشري ويكثر العدد. ويعمل على رقي الحياة واستخراج ما في بطن الأرض.. قال تعالى: ﴿ **والله جَعلَ لكم من أنفُسِكُمْ أزواجاً وجَعلَ لَكُم من أزواجِكُم بنينَ وحفدةً ورزقَكُم من الطيباتِ** ﴾[١].

٢ ـ السكن الروحاني : فالانسان عندما يتزوج يشعر بالمودة والرحمة ذلك لأن الزوج عندما ينتهي من عمله ويذهب الى بيته، ويرى اولاده واهله يلتفون حوله ويؤنسونه بضحكاتهم. فإنه ينسى الهموم التي اعترته ويذهب التعب الذي كابده في سعيه أثناء عمله .. وكل واحد من الزوجين يشعر بذلك في ظل الطرف الآخر وقد صور القرآن الكريم هذه الظاهرة بأجمل تعبير حيث قال: ﴿ **ومن آياته أن خَلَقَ لكم من أنفُسِكُمْ أزواجاً لِتسكنوا اليها وجَعَل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لِقَومٍ يتفكَّرونَ** ﴾[٢].

٣ ـ تعاون الزوجين في بناء الأسرة .. لأن الأولاد يحتاجون الى رعاية والأب له دوره في الرعاية. والأم لها دورها .. وقد حدد ذلك قول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » .. ولكل دوره .. فالرجل يعمل بما يتفق مع خصائص رجولته .. وما زودته به القدرة الإلهية من مقومات وخصائص .. فهو يقوم بأشق الأعمال للكسب المادي الذي يكون سبباً في حماية الأسرة من عوادي الزمن .. ومصائب الأيام ..

---

(١) سورة النحل الآية ٧٢.

(٢) سورة الروم الآية ٢١.

والمرأة لها اختصاصها وميدان عملها طبقاً لظروفها التي منحها الله اياها فتعمل وما يتفق مع طبيعتها وانوثتها. وخير ميدان لعملها الاشراف على ادارة البيت والقيام بتربية الأولاد. يقول رسول الله ﷺ : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته، وان اقسم عليها أبرته وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله »[1]. ورواية مسلم: « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ».

ولا يخفى على أي إنسان عاقل أن الزواج الذي شرعه الله لعباده وحدد مفهومه رسول الله ﷺ بالايجاب والقبول والاشهاد على ذلك يكون سبباً في سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي، ويسلم أفراده من التفسخ الاجتماعي .. كما أنه لا يغيب عن بال أي إنسان أن غريزة الميل الى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع والاتصال الحلال تتحلى الأمة بأفضل الآداب. وأحسن الأخلاق. وتكون جديرة بحمل رسالة رعاية الأبناء الذين يفتخرون بانتسابهم الى آبائهم.. وهذا الانتساب فيه اعتبار لذاتهم. واظهار لكرامتهم الإنسانية. ويكون سبباً في استقرارهم النفسي .. ويتأسس على ذلك حفظ الأنساب. وسلامة المجتمع من الأمراض التي يصاب بها كل من يمارس الاتصال الحرام. ويشبع رغبته عن طريق الفاحشة. فيكون من وراء ذلك مرض الزهري والسيلان وتلك الأمراض لم تكن معروفة من قبل وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه البزار والبيهقي : « يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن واعوذ بالله ان تدركوهن. وعدد منها : ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في اسلافهم ... ».

(١) رواه ابن ماجه.

الاسلام يرفض ويحرم الانحراف بالغريزة

ومما لا شك فيه أن نرفض مذهب « فرويد » الذي يفسر كل شيء في سلوك الانسان عن طريق الغريزة الجنسية .. وكذلك آراء « نيتشه » الذي الغى الأخلاق وأباح لكل انسان أن يفعل كل ما يؤدي الى استمتاعه. وكان غرضهم من وراء ذلك انهيار الأخلاق الاجتماعية في كل مكان عن طريق الجنس والمرأة.

ونلحظ ذلك من أقوالهم « يجب علينا أن نكسب المرأة » « فأي يوم مدت الينا يدها فزنا بالحرام وتبدد جيش المنتصرين للدين » .. واذا كنا نقول ذلك فان علينا أن ندرك ما فعله هذا الشذوذ الجنسي .. وموجبات الاباحية في المجتمع الانساني فانتشر وراء ذلك مرض التقرحات الجنسية وأصيب الملايين من الشباب بالبرود والضعف. وعدم الإقبال على الحياة وكل ذلك أدى الى ما يعانيه المجتمع الآن من اضطراب. ونقرأ ذلك في تصريح لـ « كندي » حيث قال : « ان مستقبل أمريكا في خطر. لأن شبابها منحل غارق في الشهوات. لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه. وانه من بين سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين. لأن الشهوات التي اغرقوا فيها افسدت لياقتهم الجسمية والنفسية » .. وقريب من ذلك ما قاله « خروتشوف سنة ١٩٦٢ بأن مستقبل روسيا في خطر وأن شبابها لا يؤتمن على مستقبلها. لأنه مائع، منحل، غارق في الشهوات.

وإذا كنا نتحدث عن هذا الخطر الاجتماعي الذي يهدد الأسر بالزوال: فان علينا أن ندرك أن السبب وراء ذلك. عوامل عدة أهمها :

١ ــ كتب الجنس ومجلات العري.. ومع أناقة طبعها فسعرها رخيص جداً.

٢ ــ الأغاني الفاحشة .. والموسيقى الراقصة .. والمسرحيات الآثمة.

٣ ــ الاختلاط بين الجنسين. وما استتبع ذلك من مظاهر فاسدة من

ناحية التعري والخلاعة .. واصبحت النساء الكاسيات العاريات يملأن الشوارع صباحاً ومساء وهن في أبهى زينة وأفتن منظر لا يرعين للشرف حرمة ولا للاخلاق وزناً.

كذلك لا يغيب عن بالنا ما للسينما والمسرح والتلفزيون من أثر فعال في تهييج المشاعر واثارة الغرائز واشعال العواطف. والإنحراف عن مسارها الطبيعي.

ان الذين ينحرفون في حياتهم ويخرجون بالغريزة الجنسية عن طريقها المشروع. ويقولون نفعل ذلك خوفاً على أنفسنا من الكبت الجنسي الذي يكون سبباً في هزات نفسية وانفصام في الشخصية وتأثير على صحة الإنسان العامة نقول لهم: إن ما تقولونه شيء يخالف منطوق الفكر السليم. لأن الإسلام لا يرضى بهذا مطلقاً .. وإنما الإسلام اعترف بالإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وتعامل معه من خلال ذلك. ولم يحاول أن يكبت قوة على حساب الأخرى وإنما كل طاقة لها اتجاه ناحية الخير أو الشر. وينعكس أثر ذلك على الشخص أولاً والمجتمع ثانياً .. لهذا كانت التربية الاسلامية التي تنمي في الإنسان نوازع خير وتحولها الى طاقة بناءة وتحول بين طاقة الشر في الإنسان بحيث لا تندفع تلك القوة فتحطم صاحبها والمجتمع والإسلام ذم العزوبة. ونفر من الرهبانية وشرع الزواج تلبية للفطرة واستجابة للغريزة.. واذا أحسَّ الفتى بأن لديه قدرة على الزواج فعليه أن يسارع الى تحقيق تلك الرغبة. واذا لم يستطع فإن الإسلام قد رسم له طريقاً فيه سمو لنفسه. وتهذيب لعواطفه ألا وهو الصيام. وقد جاء ذلك في حديث رسول لله ﷺ حيث قال: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[1].

---

(١) رواه الجماعة.

والقرآن الكريم ضرب للشباب مثلاً بنموذجين عظيمين هما يوسف عليه السلام. الذي اكتمل شبابه وتفتحت رجولته، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك. قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون. ولما هدد بالسجن اذا لم يفعل المعصية قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه[1].. والمثل الثاني: موسى عليه السلام .. فعندما ما دعته الفتاة ليذهب الى ابيها ليجزيه أجر ما قدم لابنتيه من مساعدة .. غض بصره. وتقدم في مشيته لذلك قالت الفتاة لابيها : ان خير من استأجرت القوي الأمين[2].

فلا مجال في الاسلام لكبت غريزة ابداً .. لذلك أراد بعض الصحابة من باب التقرب الى الله أن يقضوا على الدافع الجنسي في أنفسهم من أساسه ويعطلوا الطاقة الغريزية فيهم بأن يخصو انفسهم يقول سعد بن ابي وقاص : « لو أذن رسول الله ﷺ لعثمان بن مظعون في التبتل لاختصينا » مما يؤكد لنا حتمية الزواج في الاسلام عند القدرة. إن اشباع الغريزة الجنسية في الاسلام عن طريق الزواج ليس مجرد استمتاع فحسب. بل يقصد به إشباع الحاجة الاجتماعية التي يكون من ورائها انتاج النسل وما وراء ذلك من مصالح مشروعة.

والنضج الجنسي إن تآخى مع النضج الاجتماعي، فلن يحدث اضطراباً بين الانسان ونفسه، أو يوجد صراعاً بين الشخص وقيمه السلوكية.

---

(١) انظر قصة يوسف مع امرأة العزيز في سورة يوسف الآيات ٢١ وما بعدها.
(٢) انظر قصة موسى مع المرأتين في سورة القصص الآيات ٢٣ وما بعدها .

مقدمات الزواج

الزواج من سنن الفطرة. وهو يتفق مع طبائع الإنسان وميوله. والإسلام بتشريعه السامي، وضع أمام كل من الزوج والزوجة قواعد عامة وأحكاماً واضحة. ان التزم بها كل شخص عاش مع رفيقه في غاية التفاهم والمحبة. وكانت الأسرة المكونة من البنين والبنات الذي اكتمل إيمانهم، ونضجت اجسامهم وعقولهم.

ان الله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب. وهو الذي يمضيها أو يلغيها وكان من رحمة الله وقدرته ان خلق آدم بلا أب ولا أم. وخلق حواء من أب بلا أم. وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب. وصدق الله العظيم : ﴿ **إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُن فَيكُونُ** ﴾[1].

ونحن في بحثنا هذا نذكر أن الزواج لا بد أن يتم بين رجل وامرأة ــ وصدق الله العظيم.. ﴿ **وهو الذي خَلقكُم من نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منها زَوْجَها لِيَسْكُنَ اليها** ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ **يأيها الناس اتَّقوا ربَّكُم الذي خَلقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زَوْجَها وبثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾[3].

من هنا رغب الاسلام الرجل أن يختار شريكة حياته. كما رغب المرأة أن تختار شريك حياتها ... ويتم ذلك على أسس أهمها.

١ ــ اختيار الزوجة :

حث الاسلام ان يكون الاختيار من الطرفين قائماً على اساس من ،، والتمسك بالقيم العالية والآداب الرفيعة فالله تعالى يقول : ﴿ **ولا**

---

(١) ة يس الآية ٨٢.
(٢) الأعراف الآية ١٨٩.
(٣) ساء الآية الأولى.

تنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ وَلأَمَةٌ مؤمنةٌ خَيْرٌ من مشركة ولو أَعجَبَتْكُم ولا تُنكِحوا المشركين حتى يُؤمنوا وَلَعَبْدٌ مؤمنٌ خَيْرٌ من مشركٍ ولو أعجبَكُم ﴾[1].

وقد ارشد النبي ﷺ راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين لأن الرجل المتدين هو الذي يرعى حق زوجته. وكذلك المرأة المتدينة. لذلك يقول الرسول ﷺ : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »[2].

وبهذا المنطق السليم والقول السديد يضع رسول الله ﷺ يدنا على قانون اجتماعي ضابط لأهم واخطر قضية اجتماعية. فيها سعادة الفرد والمجتمع ألا وهو اختيار شريكة الإنسان في حياته من أصحاب المبادئ السليمة والأخلاق العالية.

والرسول ﷺ يرشدنا الى أن التدين أفضل ما تتصف به المرأة. ولأجل الدين يرغب فيها. ففي صحيح مسلم : « أن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك ».. وذلك لأن الزوجة المتدينة هي التي تقوم بواجب الزوجية على أكمل وجه ...

ان اختيار الزوجة إن تم بعيداً عن الدين أحدثت نتائجه هزات نفسية واجتماعية خطيرة فقد روى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً. ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة. ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه. أو يصل رحمه. بارك الله له فيها وبارك لها فيه ». وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين يدي رجل متحلل ملحد. لا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٢) رواه الترمذي.

يرقب فيها إلا ولاذمة. ولا يقيم للعرف والغيرة وزناً ولا اعتباراً، وكم من فتاة، ويا للأسف، انتقلت من بيت أبيها وكانت في غاية الكمال الخلقي واذا بزوجها اباحي .. فانقلبت الى امرأة متهتكة مستهترة لا تقيم للمبادئ الفاضلة اية قيمة .. والحال كذلك في امر الزوج. لذلك كان على ولي الأمر ان يخطب لابنته. وان يتخير لها الزوج الكفء الذي يتحلى بالاخلاق ويتمسك بالدين. لذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجه « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ».

ان على أولياء المخطوبة أن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة وتربية الأولاد. والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف وتأمين حاجات البيت بالبذل والانفاق.

لأنه بدون الدين والخلق تتوفر عوامل القلق والاضطراب. وتدب الخلافات ولا خير للابناء في اسرة يتنافر قطباها. فيدور كل منهما في فلك. فلا يلتقيان. وان التقيا تصادما فيحطم أحدهما الآخر. أو يتحطما معاً ويكون من وراء ذلك خراب البيت وتشريد الأولاد.

لقد ارشد النبي ﷺ راغبي الزواج أن تكون نظرتهم الى الدين والتمسك بقيمه. وكذلك اختيار الأسر العريقة التي عرفت بالصلاح والتقوى. وأصالة الشرف. أن يكون ذلك أساس الاختيار، لأن الناس يتفاوتون في الوضاعة والشرف. والرسول ﷺ يوضح هذا المعنى في قوله : « الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا »[1] ويوضحه ﷺ بأسلوب تربوي فيقول لأصحابه وقد مر عليه رجل معروف بالثراء : ما تقولون في هذا ؟ قالوا حريّ ان خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع. وإن قال أن يسمع .. قال : ثم سكت.. ثم مر رجل من فقراء المسلمين. فقال : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حريّ إن

---

(١) رواه ابن منيع والعسكري عن ابي هريرة.

خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع .. فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من مليء الأرض مثل هذا »[1].

من هذا يتبين : أن الاختيار أساسي قبل الاقدام على الزواج .. والاختيار ليس للرجل فقط .. بل للمرأة كذلك .. وليس لولي الأمر ان يجبرها وإنما الأمر اليها .. لأن صلة الولي بالمرأة صلة أدبية لصيانتها ومنعها عن السقوط ومعاونتها في اختيار الزوج المناسب .. فان اختارت الكفء ولم يَرْضَ الولي لا يلتفت لاعتراضه بل تزوج نفسها أو يزوجها القاضي. لأن الأمر اليها أولاً وبالذات من مفهوم قول رسول الله ﷺ : « الأيم أحق بنفسها من وليها ».

ان الزواج قائم على المودة والرحمة ودفء العاطفة. ومن غير المعقول أن نقيم البيت من أول يوم على الكراهية والنفور. بل لا بد أن يكون هناك رغبة ومودة. نلحظ ذلك مما رويَ أن امرأة قالت للنبي ﷺ ان أبي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته. فجعل امرها إليها. فقالت سأمضي ما فعل أبي. لكنني أردت أن أعلم الرجال أن ليس لهم من الأمر شيء.

ان الزواج ليس علاقة حيوانية بين حيوانين، وليس علاقة روحية بين ملكين وانما زواج انساني قائم على واجب اجتماعي من وجهة المجتمع، وسكن نفساني من وجهة نظر الفرد، وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء (كما يقول عباس العقاد في الفلسفة القرآنية).

إنه بالزواج تقام الأسرة المسلمة على أساس أن أفرادها بشر. تربط بينهم صلة رحم. ولصلة الرحم دورها في حياة الإنسان. فرداً أو جماعة. وتربط بين الرجال والمرأة فيها مصالح جسمية ونفسية ومعاشية واجتماعية كما تربط بينهما وبين المجتمع القومي والمجتمع الانساني روابط عدة :

---

(١) رواه البخاري.

لذلك رغب الإسلام أن يكون الاختيار من الطرفين هو الاساس الذي تبنى عليه الاسرة. وتدوم به العشرة. وتزدهر ينابيع الحب بين جميع الأطراف.

واذا كان الاختيار لكل فرد فان الرسول ﷺ وضع أسس الاختيار وان كانت أحاديثها ضعيفة بمفردها إلا أنها بمجموعها وتعدد طرقها تكون حسنة فمن ذلك قوله « تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه اخوانهن وأخواتهن » وقوله : « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه اخواله ». وقوله : « تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس » وقوله : « تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء » وقوله : « اياكم وخضراء الدمن : قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء ».

وبيان الرسول ﷺ يُعَدُّ من أعظم الحقائق العلمية المعجزة لهذا النبي العظيم حيث أثبتته النظريات التربوية في العصر الحديث ... فعلم الوراثة اثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة ..

ومما لا شك فيه ان اختيار الزوج أو الزوجة على أسس من مكارم الأخلاق وعلو الهمة. والتمسك بآداب الدين وقيمه .. كل ذلك يؤثر في الأولاد حيث يجتمع فيهم عامل الوراثة الصالحة، والتربية الفاضلة. فما على راغب الزواج بعد هذا البيان إلا أن يحسن الاختيار ويتخير رفيق الحياة لتكون الذرية صالحة والسلالة طاهرة، والأبناء قرة عين في الدنيا والآخرة.

٢ ــ النظر الى الطرف الآخر

من المعلوم أن الإسلام نهى عن التطلع الى الغير وأمر بغض البصر قال تعالى: ﴿ **قُلْ للمؤمنينَ يغُضُّوا مِن أبصارِهِمْ** ﴾[١] وقال سبحانه ﴿ **وقُلْ**

(١) سورة النور الآية ٣٠.

للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ مِن أبصارِهنَّ ﴾[1] وهـذه الضوابـط هـي لحفـظ كيـان الإنسان وعدم ايجاد هزات نفسية عنده .. لأن الاسلام يهدف الى اقامة مجتمع نظيف لا تهتاج فيه الشهوات كل لحظة لأن عمليات الاستثارة تؤدي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي بل يزيد أواره نظرة عابثة أو حركة مثيرة، أو زينة متبرجة ونتاج ذلك إما إفضاء للدافع بلا قيد أو عقد نفسية ناشئة من كبح بعد اثارة. وهي تكاد تكون عملية تعذيب ..

وليس مطلوب الإسلام أن يغمض الشاب عينيه. ويحال بينه وبين النظر الى المرأة في الطريق العام. ومدرجات العلم، والمحلات العامة ــ خاصة وأن البيئة المعاصرة فيها الحركة الاجتماعية، والمرأة تسابق الرجل في كل ميدان ــ ومن غير المعقول ان نقول للشاب أمش ورأسك الى أسفل تديُّناً أو اجلس في قاعة المحاضرة، أو المحلات العامة وأنت تنظر موقع قدمك وإنما نقول لكل شخص : إتق الله وأنت تنظر فإنما لكل امرئ ما نوى وغض بصرك عند التطلع الى الغير فإن لك النظرة الأولى وعليك الثانية لأن إطالة النظر واستمرارية التطلع تؤديان الى تحريك الدافع الجنسي.. ونقول للجانب الآخر بأن الاحتشام في الملبس مطلوب بحيث يكون ساتراً لا يصف ما تحته ولا يشف.

والهدى النبوي يقول فيما يرويه مسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب الأبل يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..» كذلك الحال في الصوت بالنسبة للمرأة بحيث يكون معتدلاً لا خضوع معه ولا ترقيق. يقول الله تعالى: **﴿ فلا تَخْضَعْنَ بالقولِ ﴾**[2].

---

(١) سورة النور الآية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

ونحن نطالب بمنع الاختلاط أمنا من الفتنة. وخوفاً من إثارة الغرائز النائمة. لكن من حق المرأة أن تخرج الى العمل في غير تبرج. ولا زينة وشهود الصلاة وغير ذلك بشرط الاحتشام في الزي والالتزام بالاداب الاسلامية .. والهدف من كل ذلك هو : ان يكون الجو الذي نعيش فيه نظيفاً من كل المثيرات التي تعوق حركة التقدم. وتهدم القيم الاخلاقية النبيلة ..

إننا نريد أن نوجه الطاقة النفسية إلى كل خير. وليس لنا بديل عن التربية الاسلامية بوسائلها البناءة من عقيدة في الله راسخة. وصلاة له خاشعة. كل ذلك يحمي الشباب من الأمراض النفسية التي تفقدهم طعم الحياة .. ونحن نعلم أن الصوم عامل هام في التسامي بالطافة، والتهدئة من حدتها لأن الصائم بحق. تصوم جوارحه عن الحرام. ويحفظ اذنه عن كلمة ماجنة. ويمسك لسانه عن فحش القول. وأنفه عن شم ريح كريهة ويده عن أي شيء يغضب الله. ويشغل قلبه بذكر الله.

إذا كان كذلك فإن الدائرة الجنسية تنقطع من أولها فلا مثيرات ولا تنبيه للمراكز العصبية والجنسية .. ولذلك يعالج « الغزالي » هيجان الشهوة بقوله « دواء هذه العلة ثلاثة أمور ... الجوع .. وغض البصر. والاشتغال بشيء يستولي على القلب.. ».

اذا كان ذلك كذلك فإنه يستثني من غض البصر الذي سبق الحديث عنه النظر الى المرأة بقصد النكاح ..

يكون نظر الرجل الى المرأة أمام محرم لها .. فينظر الى وجهها وكفيها ويجوز له تكرار النظر لأن ذلك حكم استثنائي أبيح لغرض معين.

ويجوز للمرأة إذا أرادت أن تتزوج برجل أن تنظر اليه لأنه يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل منها. فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال للمغيرة ابن شعبة عندما قال له خطبت امرأة.. فقال لي رسول الله ﷺ: نظرت

اليها .. قلت لا ـــ قال فانظر اليها. فانه أحرى أن يؤدم بينكما ـــ أي أن النظر أدعي لدوام المحبة والألفة » وروى النسائي ان رجلاً جاء الى رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : أنظرت اليها ؟ قال : لا .. قال فانظر اليها فان في اعين الأنصار شيئاً ».

ان الشريعة الإسلامية أجازت للخاطب أن ينظر الى مخطوبته .. كما أجازت للمخطوبة أن تنظر إلى خاطبها ليكون كل من الاثنين على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة لكن لا يجوز أن يجتمعا مع بعضهما في خلوة بمنأى عن المحارم لأن الاسلام يحرم الخلوة بالاجنبية. لما رواه الشيخان عن النبي ﷺ « ألا لا يخلونّ الرجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها ذو محرم ».

إن الزواج عقد والاتصال بين طرفي العقد في فترة الخطوبة إنما يجب ان يتم في جو احترام واحتشام. وفي ظل الأسرة. وتحت أعين المحارم. ومن خلال هذا الاتصال يمكن أن يتعرف كلا الطرفين على الطرف الآخر كما يتعرف ذوو كل طرف على الطرف المقابل. وبالخبرة الطويلة. والحرص على صالح الطرفين سيكون الضمان لوجود توافق يؤدي الى نجاح الزواج واستمراريته بتحمل مسئولياته وتبعاته كما يقول عبد الغني عبود في الأسرة المسلمة.

ولا بد للزواج أن تتوافر فيه الإرادة الكاملة والرضا التام لكل من الطرفين ونحن عندما نقرر هذا استنباطاً من فهم أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ فاننا ننكر وبكل شدة ما يجري في مجتمعنا المعاصر في بعض الأوساط من إباحتهم للخاطب أن يأخذ بيد مخطوبته ويتحركا دون رقيب هنا أو هناك. وهو عندما يختلط بخطيبته دون حدود أو قيود يدعي أنه يتعرف على أخلاقها وهذه الخلطة تتنافى مع أبسط مبادئ الفضيلة والأخلاق. وهذه الدعوى يرفضها الإسلام أيضاً ويحاربها بلا هوادة.

ذلك : لأنه كثيراً ما يهرب الخاطب بعد ما يكون قد أساء الى مخطوبته وتصبح الفتاة عرضة للتهمة. وتثار حولها الشبهات. ولا يقبل عليها الخطاب. ومعنى هذا أنها اصبحت عانساً في سوق الكساد .. واذا تم الزواج بعد هذه الخلطة المثيرة فإنه لن تمضي فترة زمنية على الزواج إلا ويدب الخلاف وتحدث الفرقة لأنه يعيرها بماضيها. ويحدثها عن أخلاقها وهو يضمر في نفسه أنه يرغب في التخلص منها سريعاً لأن شبح الماضي أمام عينيه. ويخاف أن يكون له منها أولاد وفيهم بنات فيخاف على أخلاقهن. ويخشى على مستقبلهن لأن المثل الشعبي يرن في أذنه « اكف القلة على فمها تطلع البنت لأمها » لذلك نحن نهيب بكل رجل أن يتعلم أصول التربية الصحيحة النابعة من الإسلام وقيمه التي لا تجارى. وهي أصل سعادة الإنسان لأنها من لدن حكيم خبير وهو سبحانه أعرف بالانسان وما يصلح شأنه ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خلق وهو اللَّطيفُ الخبيرُ** ﴾[1] لذلك : على الرجل ان يعلم ابنه أو ابنته اصول الاختلاط وحق الخاطب مع مخطوبته وهي مع خطيبها، لقدوم العشرة ويكون الوفاق.

الاغتراب في الزواج

لقد أثبت علم الوراثة في العصر الحديث أن الزواج بين الأقارب يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم. ومن ناحية الذكاء. ويورث الأولاد صفات خلقية متوارثة في الأسر المتقاربة .. ولقد هلل المجتمع لهذه الأفكار واعتبرها أنها من ابتكار فكره .. وغاب عنهم أن النبي ﷺ قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً ومن توجيهاته الحكيمة تفضيل المرأة الأجنبية على النساء ذوات القرابة حرصاً على نجابة الولد. وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض التي قد تكون متفشية في الأسرة .. وقد رغب الإسلام في ذلك توسيعاً لدائرة التعارف الأسرية. وتمكيناً للروابط

---

(١) سورة الملك الآية ١٤.

الاجتماعية فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً » وقوله « اغتربوا ولا تضووا ».

المهر

لقد زود الله الرجل بقدرات وخصائص جسمانية أهلته لأن يسعى في الأرض ويضرب فيها سعياً إلى الرزق. وهو بذلك قادر على أن يمتلك المال ويتحمل أعباء الأسرة .. من هنا طولب بدفع الصداق : وهو ما يدفعه الرجل للمرأة عندما يريد أن يقترن بها. يقول الله تعالى : ﴿ **وآتوا النساء صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾[1].

وقد كره الإسلام ان يقف الصداق حائلاً دون بناء أسرة ناجحة. فيسر الصداق وجعله ولو خاتماً من حديد فاذا لم يتيسر ذلك فان على الرجل أن يحفظ زوجته ما يحفظه من القرآن. وقد ثبت ذلك في عدة أحاديث.

منها ما جاء في صحيح مسلم للرجل الذي جاء خاطباً وليس معه أي شيء « انظر ولو خاتماً من حديد » ولما ثبت عجزه قال له النبي ﷺ : « اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن ».

والانسان عندما يقدم الصداق الى زوجته فإنما يقدم قدر طاقته. ومطلوب من أهل العروس أن لا يرهقوا الخاطب بالطلبات لأن الطاقة اعتبارية ولا بد من تكريم للمرأة عند ارادة الاقتران بها.

والإسلام قائم على يسر ومساهلة في هذا الموضوع .. لأن أعظم النكاح بركةً أَيْسَرُهُ مئونة.. وأي محاولة من جانب الخاطب لاستغلال مهر الزوج وصداقها فهو أكل مال الغير بالباطل لأن على الرجل أن يوفر لها مسكناً ونفقة وكسوة ويعطيها مهراً على قدر طاقته .. قال تعالى :

---

(١) سورة النساء الآية ٤.

﴿ وإن أردتم استبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذُوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾[1].

واذا كان الزواج الغرض منه إقامة أسرة مسلمة مبنية على أسس من الشريعة السمحة ومقرراتها. فقد سهل الإسلام إتمام الزواج على تلك الأسس حتى لا يكون هناك مشقة وحرج. وجعل المهر مقدمة إيجابية من الزوج ليقوم بممارسة وظائفه المستقبلية في بناء الأسرة في جوّ مليءٍ بالدفء العاطفي. نلحظ أن المدنية المعاصرة قد عقدت الأمور. وسدت المنافذ أمام العديد من الشباب الراغب في الزواج. حيث يطالب الشاب بالعديد من الأشياء المظهرية الاستهلاكية التي ترهقه نفسياً ومالياً حيث تحمله ما لا طاقة له به؛ مما يجعل الكثير من الشباب يعزف عن الزواج ويتجرع كؤوس المرارة والحرمان نتيجة لعادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان.

إننا نريد ان يكون الآباء على قدر من الفهم والتجاوب وتقدير الظروف ومراعاة الأصلح لأبنائهم وبناتهم. فبدل أن يطالب الشاب بتقديم « شبكة » خيالية السعر. ويطالب بتأثيث منزل يرهقه في أول الأمر ويجعله يستدين إن كان ذا خلق، أو تمتد يده الى حرام، وهو في كلا الأمرين يبدأ حياته الزوجية مشتت الفكر غير مستقر الحال مضطرب الجسد لأن الدَّيْن هَمٌّ باللّيل وذلٌّ بالنهار أو يخاف من افتضاح أمره. وسوقه أمام القضاء ليحاسب على ما اقترفته يداه. لكل ذلك نقول للآباء: إن الأسر لا تبنى بهذا الاسلوب. وإنما تؤسس على اليسر والتراحم، ومنهج الإسلام في تربية الأبناء وحثهم على تكوين الأسر مبني على اليسر والقصد.

إن الإسلام قصد بهذا التيسير معالجة الأفراد بالتربية الإيمانية المؤسسة

---

(١) سورة النساء الآيتان ٢٠ و ٢١.

على الوضوح حتى يتمكنوا من تكوين الأسرة وتربية الأبناء في جو كله ثقة بالنفس واعتزاز بالماضي المشرق. ويحرر المجتمع من أشياء خطيرة ربما تسبب له الأمراض الفتاكة بعد الانحلال الخلقي الذي نتج عن غلو المهور والإرهاق بالمطالب غير المشروعة.

وباتمام الزواج على الأسس السابقة وفق محددات الشرع ومرغباته تتكون الأسرة الصالحة.

ومن شغف الاسلام بنشأة الذرية المؤمنة يوصي الإسلام الزوجين أن يبدآ علاقتهما العاطفية بذكر الله. لتهيئة جو إيماني يخرج منه ابن بار يكون امتداداً لأبويه، وعنصراً صالحاً في المجتمع .. روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « اذا أراد احدكم أن يأتي أهله فقال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإن قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان ».

الأبناء أمانة الله بين أيدينا

الأولاد زينة الحياة الدنيا وبهجتها، وروح الأمل فيها. بهم ولأجلهم تهون المصائب لأن الأبناء تجديد لماضي الآباء : والشمس المشرقة في حاضرهم والأمل الباسم لغدهم .. من أجل ذلك ذكر الله تعالى مادة « ولد » في القرآن الكريم « ١٠٢ » مائة مرة واثنين. كما ذكر مادة « ابن » وبنين، وبني، وأبناء، وبنات « ١٥٨ » مائة وثماني وخمسين مرة. وذكر مادة ذرية « ٣٢ » اثنتين وثلاثين مرة .. ولهذا كان التعلق بهم شديداً الى درجة أن يتبنى الرجل الولد الذي ليس من صلبه .. يقص علينا القرآن الكريم قصة « عزيز مصر » بعد ان اشترى يوسف عليه السلام وهو يقول لأمرأته ﴿ **اكرمي مَثْواهُ عسى أن ينفَعَنا أو نتَّخذه ولداً** ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف الآية ٢١.

كما ان امرأة فرعون تقول لزوجها بشأن موسى عليه السلام وبعد استخراجه من أليم: ﴿ **لا تقتُلوهُ عسى أن ينفَعَنا أو نَتَّخِذَهُ ولداً** ﴾[1].

وعلى امتداد الزمن كان التبني سائداً في المجتمع الإنساني .. ذلك لأن قلوب الرجال والنساء تتشوق الى من يلتصق بهم .. وتهفو آذانهم الى سماع كلمة « بابا وماما » .. وظل هذا التبني سائداً حتى أبطله الإسلام على لسان النبي ﷺ المصطفى الذي كان متبنيا لزيد بن حارثة في أول الأمر وكان يدعى زيد بن محمد ولما نزل قوله تعالي ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أَقسَطُ عند الله** ﴾[2] أصبح يدعى « زيد بن حارثة ».

ولا عجب اذا كانت العاطفة الإنسانية بهذا الشغف لإيجاد نسل يحمل ذكريات الماضي فاننا نرى القرآن الكريم يصور هذه المشاعر الأبوية الصادقة. فيجعل الأبناء زينة الحياة قال تعالى ﴿ **المالُ والبنونَ زينةُ الحياة الدُّنيا** ﴾[3] ويجعلهم مرة أخرى قرة أعين للوالدين قال تعالى: ﴿ **والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرياتنا قُرَّةَ أَعيُنٍ واجعلنا للمُتقينَ إماماً** ﴾[4] ويعتبرهم مرة أخرى نعمة تستحق شكر الواجب قال تعالى: ﴿ **وأمدَدْنَاكم بأموالٍ وبَنينَ وجعلناكم أكثر نفيراً** ﴾[5].

وفي نفس الوقت حذر الله المؤمنين من فتنة الأولاد لأنهم ربما يشغلون الآباء عن طاعة الله وعبادته : قال تعالى : ﴿ **إنما اموالكم وأولادكم فِتنةٌ والله عنده أَجْرٌ عظيمٌ** ﴾[6].

---

(١) سورة القصص الآية ٩.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٥.
(٣) سورة الكهف الآية ٤٦.
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٤.
(٥) سورة الإسراء الآية ٦.
(٦) سورة التغابن الآية ١٥.

كما نهى الله المؤمنين عن التلهي بالأموال والأولاد والانشغال بهم عن أداء حق الله وذكره: قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تُلهِكُمْ أموالكم ولا أولادكم عن ذِكْرِ الله ومَن يَفْعَل ذلك فأولئكَ هم الخاسرونَ** ﴾[1] والله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب. وأخذ نبيه الكريم بأنه لا يغتر بكثرة الأموال والأولاد التي عند الكافرون. فقال سبحانه: ﴿ **فلا تُعْجِبْكَ أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياةِ الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾[2]. ذلك لأن الكافر والمنافق لا يقومان على تربية الولد التربية الايمانية التي تجعله رباني النزعة، محمَّدِيَّ الغاية.

لذلك فالكافرون يشقون بحفظ المال وجمعه. واستكثار الأولاد وليس لهم من ذلك حظ في السعادة الدنيوية. والفلاح الأخوي. لأن الأولاد لا يردون عن آباءهم شيئاً من عذاب الآخرة ﴿ **يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون * إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم** ﴾[3] أما المؤمنون أصحاب العقائد الإيمانية فان أولادهم معهم يسعدون بهم في الدنيا وينعمون معهم في الآخرة. قال تعالى: ﴿ **والذين آمنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذريتهم بإيمانٍ ألحَقْنا بهم ذُريتهُم وما أَلَتنَاهُم من عَمَلِهِم من شيءٍ كل امرئ بما كسب رهينٌ** ﴾[4].

لقد كان الكافرون يباهون بكثرة أموالهم وأولادهم ظانين أنهم بهم بمنجاة من النار زاعمين أن الحق ما دام قد رزقهم بذلك في الدنيا فإنه لا يعذبهم في الآخرة فرد عليهم القرآن بأن هذا زعم خاطئ .. لأن الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق على من يشاء من الطائعين أو العاصين ويضيق على من يشاء اذ ليست الأموال ولا الأولاد بالمزية عند الله بل إن المزية

---

(١) سورة المنافقون الآية ٩.
(٢) سورة التوبة الآية ٥٥.
(٣) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ و ٨٩.
(٤) سورة الطور الآية ٢١.

الأولى هي الإيمان بالله الواحد والاعتراف برسله وأنبيائه والإذعان لكل ما أوحاه على لسان النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **وقالوا نحنُ أكثرُ أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين * قُلْ إن ربِّي يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويقدرُ ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون * وما أموالُكُم ولا أولادُكُم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا مَنْ آمن وعملَ صالحاً فأولئك لهم جزاءُ الضعفِ بما عملوا وهم في الغرفاتِ آمنون** ﴾[1].

إن حظوظ الدنيا قاسم مشترك لكن هناك فئة من الناس يبطرهم الغنى ويعميهم كثرة الأولاد عن ذكر الله. فهم يخوضون في المنكر والباطل وقد ابطرتهم النعمة وأفسدت حالهم.

وهؤلاء يشاركهم الشيطان العدو اللدود لبني الإنسان في تربية اولادهم وافساد حالهم وهنا يقول الحق سبحانه مبيناً هذا الموقف ﴿ **وإذ قلنا للملائكةِ اسجدُوا لآدمَ فسجدوا الا ابليس قال أأسجُدُ لمَنْ خلقتَ طينا * قالَ أرأيتُكَ هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريته الا قليلاً * قال إذهَبْ فمن تبعَكَ منهم فإن جَهَنَّمَ جزاؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشارِكْهم في الأموالِ والأولادِ وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمُ الشيطان إلا غروراً** ﴾[2].

ولقد كان عرب قريش وأهل مكة على هذا المنوال يعتزون بأموالهم ويباهون بأولادهم ولهذا هددهم الله وتوعدهم كما أهلك الأمم السابقة عندما قالوا لأنبيائهم مثل هذا القول فقال سبحانه ﴿ **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم * كالذين من قبكلم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من**

---

(١) سورة سبأ الآيات ٣٥ ــ ٣٧.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٦١ ــ ٦٤.

قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذين خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾[1].

ان العز والفوز والفلاح يكون في الاعتراف لله بالنعمة لأنه سبحانه واهبها ومالكها وأولادنا أمانة بين أيدينا منه. علينا أن نرعى هذه الأمانة وان نقوم بشكر الله الذي وهبنا اياها. حتى يبارك لنا في نعمه ونريدها بين أيدينا.

ولن يكون شكر هذه النعمة الا بالقيام على تربية الأولاد وتدريبهم على طاعة الله وحسن الصلة به. قال تعالى: ﴿ **لَئِن شَكرتُم لازيدنَّكم ولَئِن كفرتم إن عذابي لَشَديدٌ** ﴾[2].

ولما كان اولادنا أمانة بين أيدينا وعلينا أن نقوم على رعاية أمرهم وتدبير شأنهم فليس من العدل أن نتخلص منهم وأن نجهد عليهم خوفاً من مشاركتهم لنا في الطعام والشراب أو عدم القدرة على الإنفاق. فان صاحب الامانة قبل أن يودعها لدينا تكفل برزقها. قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خَشْيَةَ إملاقٍ نحن نَرْزقهم وإياكم** ﴾[3] كما أنه لا يليق بالإنسان العاقل أن يهمل في تربية الاولاد وعدم تعويدهم على العادات الصحيحة. فإن الإنسان إن قصر في ذلك فقد خان الأمانة التي بين يديه قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أما نَتِكم وأنتم تعلَمُون * وأعلموا أَنَّما أموالكم وأولادكم فِتنةٌ وأن الله عنده أجر عظيم * يا أيها الذين آمنوا إن تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفِرْ لكم والله ذو الفضل العظيم** ﴾[4] فعلى المربين أن يعملوا على توجيه الناس الى رعاية هذه الأمانة الغالية الى هي جزء منا كما يقول القائل : « أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض ».

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٦٨ و ٦٩.
(٢) سورة ابراهيم الآية ٧.
(٣) سورة الاسراء الآية ٣١.
(٤) سورة الأنفال الآيات ٢٧ ــ ٢٩.

تربية الناشئة كما يريد الإسلام

الإسلام هو كلمة الله الخالدة هتف بها الأنبياء، وحمل لواءها المصلحون. وفي سبيلها ومن أجلها تهون التضحيات، فيضحي الإنسان بنفسه، وماله، وولده وصدق الله العظيم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أَدُلُكُمْ على تجارة تُنجيكُم من عذاب أليم * تؤمنونَ بالله ورسوله وتُجاهِدون في سبيلِ الله بأموالِكُم وأنفُسِكُم ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[١]

والاسلام الذي حمل لواءه الأتقياء الصالحون، يتلقاه جيل من جيل، ويأخذ بالتلقين عن طريق المنزل، لأنه المدرسة الأولى في حياة الطفل والأم هي الأستاذة الأولى التي تلقنه المبادئ الصحيحة والعادات السليمة وهي التي تخرج منه البطل المقدام والعالم البحاثة والجواد الكثير العطاء.

ومن هنا حث الإسلام على اختيارها من بيت شريف، ومنبت كريم وأصل طيب، وجعل تدينها اساس اختيارها، وصلاحها سبب الاقتران بها لأنها هي الأرض الطيبة التي تأتي بالثمرة الطيبة.

ولذا قال عثمان بن أبي العاص يوصي ولده عندما أراد أن يتزوج .. « يا بني الناكح مغترس، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه، والعرق السوء

(١) سورة الصف الآيتان ١٠ و ١١.

قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين » يقول الله تعالى: ﴿ **والبلدُ الطَيبُ يَخرجُ نَباتُهُ بإذن ربِّهِ والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً** ﴾(1).

والتاريخ .. يقف إعزازاً واكباراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما زوج ولده ابنة بائعة اللبن، بعد ان استمع الى الحوار الذي دار بينها وبين امها. ووجد فيها يقظة الضمير، والاحساس بمراقبة الله لها، وشعورها بأن الله، معها وعمر بن الخطاب آنذاك هو الحاكم العام للدولة الإسلامية .. يخطب وده الزعماء ويتقرب اليه الرؤساء وتهابه الملوك على أسرتها ولم يجد غضاضة في ذلك أبداً .. لأن الدين والتمسك به هو عامل النجاح والاستقرار في المجتمع .. ومن هنا جاء قول الشاعر :

الأم مدرسة اذا اعددتهـــــــا اعددت شعبا طيب الأعـــراق

وكل ذلك تحت سمع وبصر الأب ومن خلال توجيهاته : لأنه باحتكاكه في المجتمع له خبرته وتجاربه التربوية من البيئة التي يعيش فيها. ولذلك وجب على الأب أن يرعى زوجته رعاية كريمة مع حسن التوجيه لتقوم بدورها في رعاية الطفل الصغير وتربيته تربية ايمانية. تغرس في نفسه الأخلاق الفاضلة والمبادئ الكريمة. لأن الطفل يولد على الصفاء والنقاء والطهارة وصدق الله العظيم: ﴿ **فِطْرَةَ الله التي فَطرَ الناسَ عليها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ الله** ﴾(2).

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمسجانه » ويقول الشاعر :

وينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولـن يليـن اذا لَيَّنْتَهُ الـــخشب

---

(1) سورة الأعراف الآية ٥٨.

(2) سورة الروم الآية ٣٠.

ان تربية الناشئة مسئولية كبيرة وخطيرة ويجب الاهتمام بها والعناية بأمرها لأن هدف التربية الإسلامية كما يقول الامام الغزالي : « يرمي الى تحقيق الكمال الإنساني بغاية التقرب الى الله وسعادة الدنيا والآخرة » .. والكمال الذي يهدف اليه الامام الغزالي نوضحه في الآتي :

١ ــ تنمية القوى والاستعداد الطبيعية في الطفل .. اذ انه يولد على الفطرة ودور التربية المحافظة على تلك الفطرة النقية.

٢ ــ العمل على توازن القوى والاستعدادات النفسية.

٣ ــ الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيته ايا كان نوعه ذكراً كان او انثى.

٤ ــ التثقيف العقلي والإعداد الفكري وذلك عن طريق الأمر بالتفكر في الكون واستخدام العقل في الإيمان بالله والحض على العلم.

٥ ــ التدريب الرياضي وهو من أهم الوسائل في تربية افراد المجتمع جسمياً وتكوينهم صحيًا لأن المفروض ان تقوم التربية على تعويد الطفل منذ نعومة اظفاره على الرياضة البدنية واصلاح النفس على حد سواء يقول الرسول ﷺ « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف »[1].

ومن المعلوم أن العقل السليم في الجسم السليم. والعناية بهما من الأمور المطلوبة والتوازن بينهما امر مطلوب على المربي أن يكون على بينة بذلك لأنه لا بد من التوازن بين الجسم والروح.

ولأهمية البناء الجسمي وما يترتب عليه كان للاسلام منظور حاولت قوانين الرياضة الحديثة ان تتلاقى معه فعجزت لأن خطوات الاسلام كانت اكثر تنظيماً للعمل الرياضي مع ربطه بالعقيدة ليؤدي الانسان ذلك عن حب واقتناع.

---

(١) رواه مسلم.

ان الثقة بالنفس والقيادة الرشيدة تأتيان غالباً من جسم سليم فيه عقل متكامل وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وقال لهم نبيهم إن الله قد بَعثَ لكم طَالُوتَ مَلِكاً قالوا أنَّى يكونُ له المُلْكُ علينا ونحن أحَقُّ بالمُلْكِ منه ولم يؤتَ سَعَةً من المالِ قال إن الله اصْطَفاهُ عليكم وَزادَهُ بَسطةً في العِلم والجِسم** ﴾[1].

ان التربية الاسلامية مستقلة بذاتها لها أهدافها ومقوماتها التي تميزها عن غيرها من انواع التربية الأخرى لأنها تستمد مبادئها واصولها من القرآن والسنة والاجتهاد في الأمر الذي لم يرد فيه نص والقياس اذا اقتضى الأمر والمصالح المرسلة. كما أنها لا تعتمد على التلقين والشرع والحفظ بل مع ذلك شملت التربية العملية والروحية لتكوين الأخلاق ولتقويم السلوك وما يرتبط بذلك. ومع ذلك فلا بد ان يلاحظ المربي التدرج في التربية فيقدم النصيحة أولاً ويعمل على تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الشخص الذي يلقنه مبادئ التربية.

ولنا هنا وقفات مع « لقمان » وهو الحكيم الذي حكى لنا القرآن الكريم قصته مع ولده ـــ وهو يعظه برفق ولين ويغرس فيه المبادئ الأساسية للتربية الصحيحة البناءة فيقول له ﴿ **يا بنيّ لا تُشْرِكْ بالله إنّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عظيم**﴾[2] ثم يبين له عوامل تقوية هذه العقيدة لأن الحساب أمام رب لطيف خبير ثم يأمره بالتوجه للصلاة والدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والصبر على ما يصيبه في ذلك .. ثم يبين له سلوكيات يجب أن يتمسك بها ومعاملات اجتماعية يجب عليه أن يبتعد عنها. ونقرأ ذلك في قول الله تعالى ﴿ **يا بني إنها إن تكُ مِثقالَ حَبةٍ من خردلٍ فتَكُنْ في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله ان الله لطيفٌ خبيرٌ * يا بني أقِمِ الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وَانْهَ عن المنكر وَاصْبِرْ على ما**

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧.

(٢) سورة لقمان الآية ١٣.

أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تُصَعِّرْ خدَّك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مُختالٍ فخورٍ * واقصد في مَشْيِكَ واغضُضْ من صوتك إنَّ انكرَ الأصواتِ لَصَوْتُ الحمير ﴾[1].

ان الحق سبحانه وتعالى قد وهب الطفل في ايامه الأولى خاصيتين :

١ ـــ المطاوعة

وبها يتشكل سلوك الطفل حسبما يلقن ويشاهد من الذين حوله .. وهذا هو الدور الذي يسمي « بالتقليد » ولو أن الذين حول الطفل في هذه المرحلة استطاعوا ان يبثوا فيه القيم الدينية الأصيلة ببساطة وسهولة ويسر، لرسخ ذلك في وجدانه، وتأصل في نفسه وأثمر ذلك عند الكبر سلوكاً طيباً. واخلاقاً حسنة. وكما يقال : التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. ذلك لأن قلب الطفل ومخه كالصفحة البيضاء فكل ما ينقش عليها من سماع أو مشاهدة يترسب في الأعماق ويصبح طبعا من طباعه. ولذا قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

٢ ـــ الاندماج

ويقصد به العمل على اخراج الطفل رويداً رويداً من دائرة التمركز حول ذاته الى الطابع الاجتماعي. من معرفة للقيم والمبادئ والعادات والتقاليد ..

وسيدنا رسول الله ﷺ يلفت نظر المربين الى قاعدة هامة فيقول : « ما من مولود يولد الا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

---

(١) سورة لقمان الآيات ١٦ ـــ ١٩.

يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول ابو هريرة ﴿ **فِطرَةَ الله التي فَطَرَ الناسَ عليها** ﴾[1].

إنه بالنشأة الدينية والقدوة الصالحة. يتقبل الابن نصائح أبيه وأمه وتوجيهاتهما. ولا حرج في ان يستخدم الأب الشدة احياناً لتقويم المعوج من ولده بيد أن الشدة في النهاية يجب أن تكون مغلّفة بالحب الأبوي وفي سياق هذا ننصح أن على الأب أو المربي : أن لا يحقر الولد، ويعنفه دائماً وأبداً فان ذلك أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص عنده.

ومن عوامل التمزق النفسي الذي يكون من ورائه انحراف السلوك وتمرد على التقاليد .. التدليل المفرط لأنه ايضاً من العوامل الخطيرة التي تؤدي الى انحراف الولد نفسياً وخلقياً .. ولنعلم جميعاً ان هناك تفاوتاً فكرياً بين الأب وولده .. أو المربي والتلميذ. فالأول له تجاربه الماضية وهو حريص على أن يجنب ولده كل ما مر به من تجارب مؤلمة ومواقف أثرت في نفسه مداً وجزراً. والثاني يريد أن يتذوق الحياة بكل ما فيها. لأنه يريد أن يؤكد ذاته. وان يشعر من حوله باستقلاله ونحن نلحظ ذلك في قراءتنا للقرآن الكريم الذي جاءت قصصه عبرة ونبراساً لأولي الألباب .. فنوح عليه السلام أب ملهوف على ولده وعاطفة الأبوة متأججة في قلبه. فبدأ يدعو ولده الى الايمان بالله ويبين له بأسلوب رقيق أن سبيل النجاة من الغرق هو الاعتراف بربوبية الواحد الأحد. لكن الابن العاق رأى في هذه الدعوة من أبيه تسلُّطاً على فكره. وإلغاء لذاته فأعلن التمرد .. يحكي القرآن هذا الموقف في قول الحق سبحانه : ﴿ **وهي تجري بهم في مَوْجٍ كالجبال ونَادَى نوح ابنه وكان في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ اركَب معنا ولا تكن مع الكافرين* قال سآوي الى جبل يَعصِمُني من**

---

(١) رواه البخاري والآية من سورة الروم الآية ٣٠.

الماء قال لا عَاصِمَ اليومَ من أمرِ الله الا مَن رَّحِمَ وحال بينهما الموج فكان من المُغْرقِينَ ﴾[1].

يقول ابن خلدون : « اذا كان التأديب يعطي حقاً في ضرب أو زجر إلا أن لذلك حدوداً ــ سنها الإسلام. فكثرة الصرامة تكسب الطفل سوء الخلق » .. فاذا كان التسلط بمعنى القسوة والعنف مرفوضاً، فإن الاهمال بكل صوره مرفوض كذلك. فإن هناك اتجاهاً آخر لا يقل خطورة عن سابقيه وهو الحماية الزائدة. لذلك يجب الاعتدال والتوسط في امر التربية والقيادة الحكيمة التي لا إفراط فيها ولا تفريط. لتكون الاستجابة والمطاوعة.

---

(١) سورة هود الايتان ٤٢ و ٤٣.

فهرس الكتاب